شـــر الفرقة على المؤمنين
كما يصوره القرآن الكريم

إعـداد

أ.د/ عبد الوهاب محمد عبد الله سليم

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالشرقية "الديداون"

عام ٢٠١٤م

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد ،،

فإن ما أرقنا وأقضّ مضاجعنا ما أصبحت فيه أمتنا من فرقة واختلاف ، وانقسام إلى شيع وأحزاب ، مما أفضى إلى إشاعة الفوضى ، واستباحة الدماء، وسلب الأموال وهتك الأعراض ، وباتت أرض المسلمين ساحة للقتال، وميادين للحروب والدمار ، فحل الخراب في العمران ، والقتل في الرجال ، والتشريد للنساء والصبيان ، والفساد في الأرض والهلاك للحرث والنسل ، وكأننا لا نعرف ديناً ، ولم ينزل فينا وحي ، وما يحدث في بلادنا لم نره في بلاد الكفر والإلحاد ، ولا في أهل النحل الضالة أو الملل المنحرفة ، ولكن حدث هذا في بلاد الدين الحق ، الغض الذي لم يشب ، ولم يطل عليه الأمد ، ولا يزال القرآن فيها حياً ، والسنة باقية ، فعمدت إلى كتاب الله عز وجل وبحثت فيه عسى أن أستخرج منه ما ينفع هذه الأمة ، فوفقني الله عز وجل إلى هذا الموضوع : [شر الفرقة على المؤمنين كما يصوره القرآن الكريم] ليكون بمثابة الدليل لإنقاذ الأمة من كبوتها ، وهدايتها إلى وحدتها وعزتها .

وقد تناولت هذا البحث فيما يلي :

المقدمة : وفيها بيان أهمية البحث والحاجة إليه .

التمهيد : وفيه بيان معنى الفرقة .

المبحث الأول : ترسيخ الوحدة بين المؤمنين .

وذلك على النحو التالي :

أولاً : الأمر بالوحدة وعدم الفرقة .

وذلك بما يلي :

١- الأمر بالاعتصام بحبل الله عز وجل .

٢- الوصية بالاجتماع على دين الله تعالى .

٣- بيان أن وحدة الأمة من معالي الأمور .

ثانياً : عاقبة الفرقة والاختلاف .

وتتمثل فيما يلي :

١- الفشل في مواجهة الأعداء .

٢- الاقتتال بين المؤمنين .

٣- براءة الرسول ﷺ من المفترقين .

المبحث الثاني : نبذ الخلاف والعودة للحق .

وذلك بما يلي :

أولاً : الاحتكام إلى الكتاب والسنة عند التنازع .

ثانياً : الصلح بين المتقاتلين وقتال الفئة الباغية .

ثالثاً : العفو عن المخطئين .

المبحث الثالث : سد ذرائع الفرقة والاختلاف .

ويتمثل فيما يلي :

١- التحذير من كيد أهل الكتاب .

٢- التحذير من مشابهة أهل الكتاب .

٣- التحذير من نزغ الشياطين والأمر بالاستعاذة بالله منه .

٤- تغليب المصالحة على المصلحة .

٥- إقامة العدل بين الناس .

٦- التثبت في الحكم على الناس بالكفر .

٧- التثبت في تلقي الأخبار .

٨- ترسيخ حقوق الأخوة بين المؤمنين .

الخاتمة : وفيها نتائج البحث ووصاياه .

الفهارس : وتشمل فهرس الموضوعات والمصادر .

هذا وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على كتب التفسير الأصلية ، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتنا جميعاً .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيـــــد

قبل أن نبدأ هذا البحث لابد أن نعرف أولاً المراد بالفرقة والفرق بينها وبين الاختلاف وذلك فيما يلي :

جاء في لسان العرب : الفرقة مصدر الافتراق .

قال الأزهري : الفُرْقَةُ اسم يوضع موضع المصدر الحقيقي من الافتراق وفي حديث ابن مسعود صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين ومع أبي بكر وعمر ثم تفرقت بكم الطرق [1] . أي ذهب كل منكم إلى مذهب ، ومال إلى قول وتركتم السنة . أهـ [2]

وفي المعجم الوسيط فرّق بين القوم أحدث بينهم فُرْقَةً وبين المتشابهين ميز بعضهم من بعض ويقال فرّق القاضي بين الزوجين حكم بالفُرْقَةِ بينهما ، وافْتَرقَ القَومُ فارق بعضهم بعضا ، وانْفَرَقَ الشيء افْتَرَقَ وانْشَقَّ ويقال انْفَرَقَ الصبح انْفَلَقَ . اهـ [3]

وفي المعجم الوجيز فرَّق بين الشيئين فَرْقًا وفُرْقَانًا فَصَلَ وميَّزَ أحدهما من الآخر.[4]

والفُرْقَةُ والاختلاف معناهما واحد وقيل مختلف .

قال الإمام النيسايوري – رحمه الله – عند تفسيره لقوله تعالى : L y x w v M[5] . الفرقة والاختلاف مؤداهما واحد والتكرير للتأكيد . وقيل معناهما مختلف تفرّقوا بالعداوة واختلفوا في الدين . أو

---

[1]) أخرجه البخاري كتاب الحج باب الصلاة بمنى حديث رقم ١٦٧٣ حـ١ ص ٣١٢ ط جمعية المكنز الإسلامي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢١ .
[2]) لسان العرب لابن منظور مادة فرق جـ٥ ص ١٢٠ ط دار صادر بيروت .
[3]) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون مادة فرق حـ٢ ص ٦٨٥ ط / دار الدعوة تحقيق مجمع اللغة العربية .
[4]) المعجم الوجيز الصادر عن وزارة التربية والتعليم مادة فرق ص ٤٦٨ .
[5]) سورة آل عمران من الآية ١٠٥ .

تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بأن حاول كل منهم نصرة قوله . أو تفرقوا بأبدناهم بأن صار كل حبر من الأحبار رئيساً في بلد، واختلفوا بأن صار كل منهم يدعي أنه على الحق وصاحبه على الباطل. ولعل الإنصاف أن أكثر علماء الزمان بهذه الصفة نسأل الله العصمة والسداد . اهـ [1]

وما ذكره العلماء في معنى الفرقة هو الذي نقصده في هذا البحث وهو اختلاف الناس بسبب التأويلات الفاسدة والآراء المتباينة وانتصار كل فريق لرأيه مدعياً أنه على الحق وغيره على الباطل حتى تفرقوا بأبدانهم وصار لكل فريق منهم إمام يوالي ويعادي عليه حتى أصبحت الأمة شيعاً وأحزاباً وفرقاً وجماعات يسب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[1]) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري حـ٢ ص ٢٢٩ ط / دار الكتب العلمية .

المبحث الأول

(ترسيخ الوحدة بين المؤمنين)

من أهم الأسس التي تبنى عليها الأمم هو وحدة أفرادها ، لتكتمل قوتها وتتضافر جهودها لدفع ما يضرها وجلب ما ينفعها ، وتحقيق الخير المنشود لها .

وما سبقت أمة الإسلام سابقاً إلا باتحاد أبنائها ، وارتباط بعضهم ببعض ارتباط الجسد الواحد ، والبنيان المرصوص ، وما تخلفت لاحقاً إلا بانفكاك عراها ، وانفصال أعضائها ، وتقطيع أواصرها ، فتفرق جمعها وخارت قوتها .

هذا وقرآننا الذي بين أيدينا نقرؤه ليلاً ونهاراً ، في صلاتنا وفراغنا وفي أفراحنا وأتراحنا كثيراً ما يحذرنا من شق الصف والخلاف ، ويأمرنا بالاتحاد والائتلاف ليرسخ الوحدة بين المؤمنين ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : الأمر بالوحدة وعدم الفرقة

وقد قرر القرآن الكريم ذلك بما يلي :

١ـ الأمر بالاعتصام بحبل الله عز وجل .

قال تعالى : M L K J I H F E D C B A

\ [Z Y X W V U T S R Q P O N

^ _ ` a b c d e L [1] .

---

[1]) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

والمراد بالحبل كما قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – هو كل شئ يمكن التوصل به إلى الحق من طريق الدين . وهو أنواع كثيرة : قال ابن عباس ﷺ الحبل ههنا العهد المذكور في قوله تعالى : M I H G L J [1] وقوله : M [\ [^ _ ` a L [2] . وقيل : إنه القرآن . روى عن على ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " أما إنها ستكون فتنة. قيل فما المخرج منها يا رسول الله . قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين "[3] وروى عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "هذا القرآن حبل الله " [4] وروى عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي " [5] . وقيل : إنه دين الله . وقيل : هو طاعة الله . وقيل : هو إخلاص التوبة . وقيل : الجماعة لأنه تعالى ذكر عقب ذلك قوله " ولا تفرقوا " وهذه الأقوال كلها متقاربة . والتحقيق ما ذكرنا : أنه لما كان النازل في البئر يعتصم بحبل تحرزا من السقوط فيها ، وكان

---

[1]) سورة البقرة من الآية ٤٠ .
[2]) سورة آل عمران من الآية ١١٢ .
[3]) أخرجه الترمذي كتاب فضائل القرآن . باب ما جاء في فضل القرآن حديث رقم ٢٩٠٦وأخرجه الدارمي من حديث على رقم ٣٣٣١ وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال .
[4]) ذكره الهيثمي في المجمع ١١٦٠/٧ وقال رواه الطبراني وفيه مسلم بن إبراهيم الهجري وهو متروك .
[5]) أخرجه الترمذي / المناقب / باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم حديث رقم ٣٧٨٨. وأخرجه الإمام أحمد حـ٥ ص ١٨٩ من حديث زيد بن ثابت وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٤٥٧ ، ٢٤٥٨ .

كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين حرزا لصاحبه من السقوط في قعر جهنم ، جعل ذلك حبلا لله ، وأمروا بالاعتصام به . اهـ [1].

والتعبير بالاعتصام بالحبل يفيد أن الالتجاء إلى الله عز وجل ، والتمسك بدينه هو طوق النجاة وملاز الأمة من السقوط في هوات الفرقة والاختلاف ، كما أن الاستمساك بالحبل ، ولفه على معصم المتدلي في بئر هو المنقذ له من السقوط فيه .

قال العلامة ابن عاشور – رحمه الله - والحبل ما يشد به للارتقاء أو التدلي ، أو للنجاة من غرق أو نحوه ، والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفافهم على دين الله ووصاياه وعهوده ، بهيئة استمساك جماعة بحبل ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط [2] .

وقوله " جميعاً " يفيد أن الأمر بالاعتصام بحبل الله لا يخص أفراداً أو جماعات معينة ، بل يشمل جميع المؤمنين .

وقوله " ولا تفرقوا " تأكيد لمضمون ما سبق ، أي لا تتفرقوا عن الحق الذي أمرتم بالاعتصام به .

ذكر الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى " ولا تفرقوا " **ثلاثة وجوه** :

الأول : أنه نهى عن الاختلاف في الدين لأن الحق لا يكون إلا واحداً وما عداه يكون جهلاً وضلالاً .

الثاني : أنه نهى عن المعاداة والمخاصمة فإنهم كانوا في الجاهلية مواظبين على المحاربة والمنازعة فنهاهم الله عنها .

---

[1]) مفاتيح الغيب للفخر الرازي حـ ٨ ص ١٥١، ١٥٢ .
[2]) التحرير والتنوير لابن عاشور حـ ٤ ص ٣١ .

الثالث : أنه نهى عما يوجب الفرقة ويزيل الألفة والمحبة . اهـ [1] .

وقولـــــه تعـــــالى : M H I J K L M N O P Q

L T S R تذكير لهم بما منّ الله به عليهم من نعمة الإخاء والاتفاق ، بعد ما كانوا عليه في الجاهلية من العداوة والشقاق ، ليستحضروا بشاعة صورتهم السابقة ، فيتمسكوا بحالتهم اللاحقة ، ويعضوا عليها بالنواجذ .

قال العلامة ابن عاشور – رحمه الله – هذا تصوير لحالتهم التي كانوا عليها ، ليحصل من استفظاعها انكشاف فائدة الحالة التي أمروا بأن يكونوا عليها ، وهى الاعتصام جميعا بجامعة الإسلام الذي كان سبب نجاتهم من تلك الحالة ، وفي ضمن ذلك تذكير بنعمة الله تعالى الذي اختار لهم هذا الدين ، وفي ذلك تحريض على إجابة أمره تعالى إياهم بالاتفاق ، .

وهذا التذكير خاص بمن أسلم من المسلمين بعد أن كانوا في الجاهلية ، لأن الآية خطاب للصحابة ، ولكن المنة به مستمرة على سائر المسلمين ، لأن كل جيل يقدّر لو لم يسبق إسلام الجيل الذي قبله ، لكانوا هم أعداء ، وكانوا على شفا حفرة من النار اهـ [2] .

وقوله سبحانه " وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا " يفيد أنهم كانوا على حافة الهلاك ، بالسقوط في غيابات الحروب في الدنيا ، والسقوط في هاوية الجحيم في الآخرة .

---

[1]) مفاتيح الغيب حـ ٨ ص ١٥٢ .
[2]) التحرير والتنوير لابن عاشور حـ ٤ ص ٣١ .

قال صاحب الظلال – رحمه الله – يرسم النص صورة لما كانوا فيه ، بل مشهدا حيا متحركا ، تتحرك معه القلوب " U V W X Y Z " وبينما السقوط في حفرة النار متوقعة ، إذ القلوب ترى يد الله وهى تدرك وتنقذ ، وحبل الله وهو يمتد ويعصم ، وصورة النجاة والخلاص بعد الخطر والترقب ، وهو مشهد متحرك حى ، تتبعه القلوب واجفة خافقة ، وتكاد العيون تتملاه من وراء الأجيال . اهـ [1] .

ثم تختتم الآية بقوله تعالى : M ^ _ ` a b c d L

لتشير إلى أنه بالأمر بالوحدة ، والتحذير من الفرقة ، والتذكير بالنعمة ، والتمثيل للخطر الذي كان عليه المؤمنون سابقاً ، قد بينت الآية أجمل بيان، لما يجب أن تكون عليه الأمة لاحقاً من الوحدة والوئام ، وهذا هو دأب القرآن في كل قضاياه .

٢ـ الوصية بالاجتماع على دين الله تعالى .

قال تعالى : M J K L M N P Q R S T

U V X Y Z [\ ] L [2] .

وقال سبحانه : M J K L M N O P Q R S T

U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e

f g h j k l m n o p q r s L [3] .

---

[1]) في ظلال القرآن للسيد قطب ح١ ص ٤٤٣ .
[2]) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .
[3]) سورة الشورى الآية ١٣ .

ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عن ابن عباس – رضى الله عنهما- في تفسير قوله تعالى M P Q R S T U V L وقوله سبحانه M\ [^ _ ` a L ونحو هذا في القرآن قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله .

وأورد عن الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود ﷺ قال : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال : " هذا سبيل الله مستقيما " وخط عن يمينه وشماله ثم قال " هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه " ثم قرأ " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " . اهـ [1]

فالآيتان الكريمتان تبينان أن إقامة دين الله تعالى ، والاجتماع عليه ، هو أمر الله للمؤمنين ، ووصية الله لجميع الأنبياء والمرسلين ، وخص هؤلاء الأنبياء بالذكر وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ، لأنهم أولوا العزم من الرسل ، وأرباب الشرائع الكبرى ، فالأنبياء جميعاً أمة واحدة كما بين الحق سبحانه وتعالى ذلك في سورتي الأنبياء والمؤمنون ، فبعدما ذكر قصصهم قال :

M : ~ وقال [2] L 4 3 2 1 0 / . - M

هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ L [3] ثم بين أن المخالفين لنهجهم ، هم الذين قطعوا أمرهم ، وفرقوا دينهم ، كما قال سبحانه :

---

[1]) تفسير ابن كثير حـ٢ ص ١٩٠ والرواية أخرجها الإمام أحمد في المسند رقم ٤٤٣٧ والنسائي في الكبرى رقم ١١١٠ بإسناد حسن .

[2]) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

[3]) سورة المؤمنون الآية ٥٢ .

M : وقـــال [1] L = < ; : 8 7 6 M ¨

. [2] L ³ ² ± ° ¯ ®¹ « ª © ¸

والتعبير بالتقطيع يشير إلى تمزيقهم ، وتمزيق الشيء السليم لا يستفاد منه بشيء بعد ذلك ، وكذلك التعبير بـ "وتقطعوا" بطريقة الالتفات ليبين شناعة جرمهم ، مما جعلهم ليسوا أهلا للخطاب ، وكذلك كأنهم صاروا سيرة سيئة يجب ألا يحتذي بها من بعدهم .

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – في تفسيره لقوله تعالى :

M 6 7 8 L الأصل وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة

على طريق الالتفات ، كأنه ينقل عنهم ما أفسدوه إلى آخرين ، ويقبح عندهم فعلهم ، ويقول لهم : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء . والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا ، كما توزع الجماعة الشيء ويقسمونه ، فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه ، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى . اهـ [3] .

وقوله تعالى : M® ¯ ° ± ² L يشير إلى أن كل فريق مغتبط

بنصيبه ، معجب به ، يرى أنه المحق الرابح ، وغيره المبطل الخاسر ، وهذا الإعجاب يجعل كل فريق ينتصر لحزبه ، ويتحمس للدفاع عنه ، ويوالي ويعادي عليه ، مما يزيد الشقاق والنزاع ، والتشاجر والإيذاء ، ومن هنا كانت وصية الله للأمة بنبذ الفرقة والاختلاف ، والاجتماع على

---

[1]) سورة الأنبياء الآية ٩٣ .
[2]) سورة المؤمنون الآية ٥٣ .
[3]) مفاتيح الغيب حـ٢ ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .

دين الله عز وجل ، والسير في الطريق المستقيم كما قال ربنا : K J M

X | V U T S R Q P | N M L

Y Z [\ [L الأنعام: ١٥٣.

وهذه السبل كما قال الإمام القرطبي – رحمه الله – تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وسائر أهل الملل ، وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع ، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام ، هذه كلها عرضة لذلك ومظنة لسوء المعتقد .اهـ[1] .

وما نراه في أمتنا من فرق وجماعات ، يتهم بعضهم بعضا ، وكل يسيء الظن في معتقد أخيه ، مما هيأ لأعداء الأمة الدخول فيهم ، وإفساد ذات بينهم ، مما جر علينا البلاء ، ولا عاصم إلا بإتباع وصية الله بالاجتماع على دينه ، وترك الفرقة والاختلاف .

[1]) الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبي حـ٤ ص ٢٥٧٤ .

٣ـ بيان أن وحدة الأمة من معالي الأمور :

إن الحفاظ على وحدة الأمة وجماعتها من أهم مقاصد الدين ، وفي مقدمة أولوياته ، فلا يجب التفريط فيها ولو على حساب بعض مظاهر الدين.

ويتجلى ذلك واضحاً في القرآن الكريم في أمرين :

الأول : هدم مسجد الضرار المفرق بين جماعة المؤمنين.

قال تعالى : M ! " # $ % & ' (

9 8 7 5 4 3 2 1 / . - , + *)

J I H G F E D C B A ? > = < ; :

L V U T S Q P O N M K .[1]

قال المفسرون : إن المنافقين لما بنوا ذلك المسجد لتلك الأغراض الفاسدة عند ذهاب النبي ﷺ إلى غزوة تبوك قالوا : يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة ، والليلة المطيرة والشاتية ، ونحن نحب أن تصلي لنا فيه، وتدعو لنا بالبركة ، فقال عليه السلام : إني على جناح سفر ، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه ، فلما رجع من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت هذه الآيات ، فدعا بعض القوم ، وقال: انطلقوا إلى هذا

[1]) سورة التوبة الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ .

المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وخربوه ، ففعلوا ذلك ، وأمر أن يتخذ مكانه كناسة ، يلقى فيها الجيف والقمامة . اهـ [1] .

فكان من أغراض هذا المسجد ، تفريق المؤمنين ومحاربة الله ورسوله، تحت مظهر من مظاهر الدين ، وهو بناء مسجد ، ليكون في ذلك تلبيس على أغرار المؤمنين ، بدليل قولهم " إن أردنا إلا الحسنى " أي مصلحة المسلمين ، وأرادوا أن يأخذوا من الرسول ﷺ شرعية لفعلتهم ، بدعوته ﷺ للصلاة فيه والدعاء لهم ، ولكن الحق سبحانه وتعالى فضح أمرهم ، وكشف كذبهم وسوء نيتهم ، فأمر نبيه ﷺ ألا يقوم في هذا المسجد أبداً ، فقال سبحانه " لا تقم فيه أبدا " وكون الرسول ﷺ لا يقوم فيه فلا معنى لبقائه ، فأمر ﷺ بهدمه ، ولم يكتف بذلك بل أمر أن يكون موضعه مكاناً للجيف والقاذورات .

وهكذا يجب أن يكون مصير كل موقع يرفع شعار الفرقة وتمزيق الأمة ، حتى لو كان مسجدا ، فالمساجد لم تبن لذلك ، بل تبنى للتأليف بين المؤمنين ، وإظهار وحدة المسلمين ، لأن وحدة الأمة والحفاظ على قوتها من أهم مقاصد الدين ، حتى تقام الشعائر ، وتصان الحقوق ، وتعصم الدماء ، وتحفظ الأموال والأعراض ، ويرحم الصغير ويراعى الشيخ الكبير.

قال صاحب المنار – رحمه الله – من مقاصد الإسلام الاجتماعية التعارف والتآلف ، والتعاون وجمع الكلمة ، ولذلك كان تكثير المساجد وتفريق الجماعة منافياً لمقاصد الإسلام . اهـ [2]

---

[1]) انظر مفاتيح الغيب حـ١٦ ص ١٦٨ وابن كثير حـ٢ ص ٣٨ ، زاد المسير حـ٣ ص ٣٣٩ .

[2]) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا والإمام محمد عبده حـ٨ ص ١٧٥ بتصرف .

وقال الإمام الشعراوي – رحمه الله – كل ما يفتت جماعة المسلمين هو أمر ضار بمصلحة الإسلام ، وكل مسجد فيه صفة التنافس للحصول على سمعة ، أو تحيز لجهة على جهة ، أو رياء ، فهذا يعتبر مسجد ضرار ، لأن كل هذه المسائل فرقت جماعة المسلمين . اهـ [1]

وإذا نظرنا إلى واقعنا اليوم ، وجدنا كثيراً من مساجدنا على هذا النحو، بنيت للتنافس بين الأسر والعائلات ، أو الفرق والجماعات ، حتى إذا ما دخلها أحد لا ينتمي إليهم ، شعر فيه بالغربة مما أدى ذلك إلى تنافر القلوب، واختلاف الكلمة والتنازع بين المسلمين .

الثاني : اعتذار هارون لموسى بخشية تفريق بني إسرائيل .

قال تعالى: W X Y Z [\ ] ^ _ ` b c d

e f g h i j k l m n o p q r s t u v

.[2] w x L

وملخص القصة أن موسى عليه السلام حينما ذهب للقاء ربه ، وأخلف أخاه هارون عليه السلام في بني إسرائيل ، وفتنوا بعجل السامرى وأخبر الحق سبحانه وتعالى موسى بذلك ، رجع موسى مغضبا إلى قومه ، فأنكر عليهم فعلتهم ، وأمسك بأخيه وشد عليه ، فاعتذر له هارون بأنه نصحهم

---

[1]) تفسير الشعراوي للإمام محمد متولي الشعراوي حـ٩ ص ٥٤٨٩ ، ٥٤٩١ بتصريف .

[2]) سورة طه الآيات ٩٢ ، ٩٣، ٩٤ . وقد سجل القرآن الكريم هذه القصة كاملة في سورتي الأعراف من الآية ١٤٢ – ١٥١ وفي سورة طه من الآية ٨٣ – ٩٨

ولو زاد على ذلك لتفرق أمرهم واقتتلوا ، وبذلك يكون قد حافظ على بني إسرائيل ، فقبل موسى عذره واستغفر ربه وأبطل ما فعلته بنو إسرائيل .

وفي هذا بيان لنا أن الداعي إلى الحق يجب أن يكون حكيماً في دعوته ، يراعى حال المدعوين ، ويباشر معهم المنهج الذي يناسبهم ، فقد يكون اللين أجدى من المواجهة بالعنف الذي يحدث الفتنة ويقسم الأمة ، ويقضي على بذرة الخير الذي يجب أن تحمى ، ولذا كان موقف هارون عليه السلام من بني إسرائيل موقفاً حكيماً ، فمع أنهم عبدوا العجل لم يقابلهم بثورة وشدة قد تقضي على البقية منهم ، ولكن استعمل معهم النصح واللين في بيان خطئهم ، وقال كما أخبر القرآن الكريم : M A B C D F

طه: ٩٠ وكذلك لم يترك رياستهم ويلحق L K J I H G

بموسى عليه السلام ، حتى لا ينفرط عقدهم ، ويفلت زمامهم ، بل بقى معهم حتى يرجع إليهم موسى فيتصرف معهم بما يراه ، ولما رجع موسى وعاتبه اعتذر له بهذا العذر " إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي "

قال الإمام القرطبي – رحمه الله - : أي خشيت أن أخرج وأتركهم ، وقد أمرتني أن أظل معهم ، فلو خرجت لأتبعني قوم ويتخلف مع العجل قوم ، وربما أدى ذلك إلى سفك الدماء ، وخشيت إن زجرتهم أن يقع قتال فتلومني على ذلك . اهـ [1]

[1]) تفسير القرطبي حـ٦ ص ٤٢٧٩ .

وقال العلامة الألوسي – رحمه الله – وحاصل اعتذاره عليه السلام : رأيت الإصلاح في حفظ الدهماء ، والمداراة معهم ، وزجرهم على وجه لا يختل به أمر انتظامهم واجتماعهم ، ولا يكون سبباً للومك إياي إلى أن ترجع إليهم ، فتكون أنت المتدارك للأمر حسبما تراه . اهـ [1]

فاعتذار هارون عليه السلام بعدم المواجهة خشية الفرقة فيه العلاج الناجع والشفاء العاجل ، لأنه لو قابلهم بالعنف لفلت الأمر من بين يديه ولتحولت بنوإسرائيل إلى شيع وأحزاب ، ودبت فيهم نار الفرقة والاختلاف ولأكلت الفتنة الأخضر واليابس ، ولهلك من عبد العجل ومن لم يعبده .

وربما يكون سؤال موسى لهارون ليرد بهذا الرد ، توضيحاً لمن التبس عليه الأمر في موقفه عليه السلام من بني إسرائيل حينما عبدوا العجل ، وكذلك ليكون في موقفه هذا أسوة لكل من يتعرض لمثل ما تعرض إليه .

قال الإمام الشعراوي – رحمه الله – في خواطره حول هذه الآية : هل موسى عليه السلام هنا يستفهم ؟ الحقيقة أنه لا يريد الاستفهام فقد تخاطب إنساناً بذنب وأنت لا تعلم ذنبه ، إنما تخاطبه بصورة الذنب لتسمع الرد منه فيكون رداً على من يعترض عليه ، وهنا أثارها موسى شبهة ، كي نسمع نحن الجواب ، ولنسمع الرد من صاحب الشأن باقياً سائراً في طول الأزمان.

وقد اجتهد هارون حسب رؤيته للموقف ، ونأى بالقوم عن معركة ربما انتهت بالقضاء على خلية الإيمان في بني إسرائيل . اجتهد في إطار " وأصلح " إذاً : أثار موسى هذه القضية مع أخيه لا ليسمع هو الرد ، وإنما ليسمع الدنيا كلها على مر التاريخ . اهـ [2] .

---

[1]) روح المعاني للألوسى حـ٨ ص ٥٦١ .
[2]) تفسير الشعراوي حـ١٥ ص ٩٣٦٥ ، ٩٣٦٦ بتصرف .

وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى هذه القصة في كتابه الخالد ، لتكون نموذجاً باقياً لكل صاحب دعوة ، فلا يفسد حيث أراد الإصلاح ، ويقبل أخف الضررين ، وليعلم أن إخماد الفتنة من أولويات الدين ، وقد ضرب النبي ﷺ المثل في ذلك حينما ترك الكعبة على حالها وقال لعائشة رضى الله عنها – لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين وفي رواية أخرى لهدمت البيت وبنيته على قواعد إبراهيم [1].

فكيف لا يفهم ذلك بعض دعاة الإسلام وهم على استعداد أن يهدموا كل شيء لتحقيق أقل شيء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[1]) أخرجه البخاري كتاب العلم باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس فيقعوا في أشد منه رقم ١٢٦. وأخرجه مسلم رقم ١٣٣٣ كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها .

ثانياً : عاقبة الفرقة والاختلاف

وتتمثل فيما يلي :

١ـ الفشل في مواجهة الأعداء .

قال تعالى : M » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä

Å Æ Ç ! " # $ % & ' ( ) * + , -

. / 0 L[1].

أمر الحق سبحانه وتعالى المؤمنين في الآية الأولى بالثبات عند لقاء الأعداء ليذهب الخوف من قلوبهم ، وأمرهم بذكر الله عز وجل ليستمدوا العون والقوة من ربهم ، ثم وجههم في الآية الثانية إلى طاعة الله ورسوله وترك النزاع والشقاق ، حتى لا تضيع قوتهم وتذهب دولتهم ، فيترتب على ذلك فشلهم وهزيمتهم .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أمر الله تعالى بالثبات عند قتال الأعداء، والصبر على مبارزتهم فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا ، وأن يذكروا الله في تلك الحالة ولا ينسوه ، بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ، ويسألوه النصر على أعدائهم وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا ، وما نهاهم عنه انزجروا ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم . اهـ [2] .

وقال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – بين تعالى أن النزاع يوجب أمرين : -

---

[1]) سورة الأنفال الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

[2]) تفسير ابن كثير حـ٢ ص ٣١٦ .

أحـدهما : أنـه يوجب حصول الفشل والضعف . **والثـاني** : قولـه " وتـذهب ريحكم " والمراد بالريح الدولة ؛ شبهت الدولة وقت نفاذها وتمشية أمرها بالريح وهبوبها . وقال مجاهد : " وتذهب ريحكم " أي نصرتكم ، وذهبت ريح أصحاب محمد حين تنازعوا يوم أحد . اهـ [1]

وذلك أن الرماة تنازعوا حينما لاح لهم بريق الغنيمة ، ففريق استعجلها وفريق آثر طاعة رسول الله ﷺ في البقاء مكانه ، فحدث الانقسام ومن هنا كانت الدخيلة التي تسلل من خلالها الكفار ليوقعوا الهزيمة بالمسلمين .

وقد صور الحق سبحانه وتعالى ذلك في سورة آل عمران في قوله سبحانه : **M L M N O P Q R S T U**

V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c

d e f g h i j k l m n o p q

r s t u v w x y z { | } ~ L

آل عمران: ١٥٢.

قال صاحب الظلال – رحمه الله – هذا تقرير لحال الرماة ، وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة ، ووقع النزاع بينهم وبين من يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله ﷺ ، فكانوا فريقين فريقاً يريد الغنيمة وفريقاً يريد ثواب الآخرة ، وتوزعت القلوب فلم يعد الصف واحدا ، ولم يعد الهدف واحداً وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذي لابد منه في معركة العقيدة . اهـ [2]

---

[1]) مفاتيح الغيب حـ١٥ ص ١٤١ بتصرف .
[2]) من ظلال القرآن بتصرف حـ٤ ص ٢٤٤٥ .

وما حدث يوم أُحد كان درساً قاسياً للمسلمين عاشوه بأنفسهم ، وذاقوا من خلاله مرارة الفشل ورأوا حصاد نزاعهم وخلافهم ، ودفعوا في ذلك ثمنا باهظاً ، أرواح زهقت ، وأموال ضاعت حتى رسول الله ﷺ لم يسلم من ذلك ، فقد شج وجهه الشريف وكسرت رباعيته ، وقد ابتلاهم الله بذلك في وجود نبيهم ليتعلموا الدرس وليأخذوا حذرهم فيما يستقبل ، وليشاهدوا عاقبة نزاعهم وفرقتهم حتى ولو كان الرسول ﷺ بين أظهرهم .

٢ـ الاقتتال بين المؤمنين .

قال تعالى : M قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ

§ ¨ © ª « ¬ | ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ L .[1]

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – الشيع هو التبع ومعنى الشيعة : الذين يتبع بعضم بعضا . قال الزجاج : قوله تعالى : أو يلبسكم شيعا " يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق ، فيجعلكم فرقا ولا تكونوا فرقة واحدة ، فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا ، وهو معنى قوله " ويذيق بعضكم بأس بعض " وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – لما نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية شق ذلك على الرسول ﷺ وقال : " ما بقاء أمتي إن عوملوا بذلك " فقال جبريل : إنما أنا عبد مثلك فادع ربك لأمتك ، فسأل ربه أن لا يفعل بهم ذلك . فقال جبريل إن الله قد أمنهم من خصلتين ، ألا يبعث عليهم عذابا من فوقهم كما بعثه على قوم نوح ولوط ، ولا من تحت

---

[1]) سورة الأنعام الآية ٦٥ .

أرجلهم كما خسف بقارون ، ولم يجرهم من أن يلبسهم شيعا بالأهواء المختلفة ، ويذيق بعضهم بأس بعض بالسيف [1] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا [2] .

وروى النسائي بسنده عن خباب بن الأرت وكان قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول ﷺ الليلة كلها ، حتى كان مع الفجر، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها ؟ قال رسول الله ﷺ : أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت الله عز وجل ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل ألا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل ألا يلبسنا شيعاً فمنعنيها [3]

---

[1]) مفاتيح الغيب حـ١٣ ص ٢٠ . والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند حـ٤ ص ١٢٤ من حديث شداد بن أوس بنحوه . وذكره الهيثمي في المجمع حـ ص ١٩٦٥ وقال رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

[2]) رواه مسلم باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض وزوي معناه جمع والمراد بالكنزين الذهب والفضة ومعنى ألا أهلكهم بسنة عامة أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع يكون في ناحية يسيرة من بلاد الإسلام رقم ٢٨٨٩ كتاب الفتن .

[3]) أخرجه أحمد في المسند رقم ٢١٠٥٣ والنسائي في الكبرى كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب إحياء الليل رقم ١٣٣٤.

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – قيل معنى " يلبسكم شيعا " يقوي عدوكم حتى يخالطكم ، وإذا خالطكم فقد لبسكم شيعاً معناه فرقا . وقيل : يجعلكم فرقا يقاتل بعضكم بعضا ، وذلك بتخليط أمرهم ، وافتراق أمرائهم على طلب الدنيا . وهو معنى " ويذيق بعضكم بأس بعض " أي بالحرب والقتل في الفتنة ، والآية عامة في المسلمين والكفار. وقيل هى في الكفار خاصة . وقال الحسن : هى في أهل الصلاة .

قلت – أي الإمام القرطبي –وهو الصحيح فإنه المشاهد في الوجود ، فقد لبسنا العدو في ديارنا ، واستولى على أنفسنا وأموالنا ، مع الفتنة المستولية علينا، بقتل بعضنا بعضا واستباحة بعضنا أموال بعض نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن [1] .

وما قاله الإمام القرطبي – رحمه الله – لا يختلف عما نحن فيه اليوم فقد التبس الأمر على الناس ، وأصبحوا فرقاً وجماعات ، يقاتل بعضهم بعضا واستحلوا الدماء والأموال والأعراض ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٣- براءة الرسول ﷺ من المفترقين .

قال تعالى M I J K L M N O P Q R | T U V W X

. [2] L] \ [Z Y

هذه الآية الكريمة تبين لنا براءة النبي ﷺ من الذين فرقوا دينهم وصاروا شيعاً وأحزابا ، وخالفوا أمر الله عز وجل بالاعتصام بحبله ، والاجتماع على دينه وشرعه .

---

[1]) تفسير القرطبي حـ٤ ص ٢٤٤٥ .
[2]) سورة الأنعام الآية ١٥٩ .

ذكر الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – في المراد من الذين فرقوا دينهم في هذه الآية ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد سائر الملل . قال ابن عباس – رضى الله عنهما – يريد المشركين ، بعضهم يعبد الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله ، وبعضهم يعبد الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فهذا معنى فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، أي فرقا وأحزابا في الضلالة . وقال مجاهد وقتادة : هم اليهود والنصارى وذلك لأن النصارى تفرقوا فرقاً وكفّر بعضهم بعضا ، وكذلك اليهود وهم والنصارى أهل كتاب واحد ، واليهود تكفر النصارى .

القول الثاني : المراد من الآية أنهم أخذوا ببعض الكتاب وتركوا بعضا كما قال تعالى : M H I J K L L [1] وقال أيضاً : AM

N M L K J I H G F E D C B

O P L [2] .

القول الثالث : قال مجاهد : إن الذين فرقوا دينهم من هذه الأمة ، هم أهل البدع والشبهات ، واعلم أن المراد من الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة ، وألا يفترقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع . اهـ [3]

وقال الشيخ الجمل – رحمه الله – ومن قال : المراد من الآية أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة فقوله تعالى " لست منهم في شيء " معناه

---

[1]) سورة البقرة من الآية ٨٥ .
[2]) سورة النساء من الآية ١٥٠ .
[3]) مفاتيح الغيب حـ١٤ ص ٧ .

أي أنت بريء منهم ، وهم منك براء تقول العرب : إن فعلت كذا فلست منك ولست مني أي كل واحد منا بريء من صاحبه [1] .

والأولى أن الآية عامة تشمل كل من خالف أمر الله بالتمسك بدينه ، والاعتصام ، بحبله كما قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله - : والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله ، وكان محالفا له فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه " وكانوا شيعا " أي فرقا كأهل الأهواء والضلالات ، فإن الله قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه . اهـ [2]

ولا شك أن هؤلاء قد حادوا عن الصراط المستقيم ، وسلكوا غير سبيل المؤمنين ، وأصبحوا أعوانا للشياطين ، الذين يزكون الفتنة ، ويحرشون بين المسلمين لتضطرب الأمة وتضعف الشوكة ، وتشيع الفوضي ، ويكثر الهرج ، ويستباح القتل ، ويهتك العرض ، وتسلب الأموال ويبغض الدين ، وهؤلاء حسابهم على الله ، وأمرهم إليه ، كما قال سبحانه : V U T M L \ [Z Y X W ثم يجازيهم على أفعالهم بما يستحقون .

---

[1]) حاشية الجمل حـ٢ ص ١١٦ .
[2]) تفسير ابن كثير ح٢ ص ١٩٦ .

المبحث الثاني

(نبذ الخلاف والعودة إلى الحق)

بعد ما بينا في المبحث السابق توجيه القرآن الكريم للمؤمنين للاعتصام بحبل الله عز وجل والاجتماع على دينه وبيان أن وحدة الأمة من أهم مقاصد الدين نبين في هذا المبحث توجيه القرآن الكريم إذا ما حدث خلاف ذلك من تصدع بناء الأمة وشق أركانها وتشاجر أفرادها وهو السرعة في احتواء هذا الأمر حتى يلتئم الصدع ويلتحم الشق ويندمل الجرح وينجبر الكسر ويعود البناء إلى أصله وذلك بما يلي :

أولاً : الاحتكام إلى الكتاب والسنة عند التنازع.

قال تعالى: M Õ Ô Ó Ò Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç

Ø × Ö Ù Ú Û Ü Ý Þ ß á â ã ä å æ L [1].

هذه الآية الكريمة توجب علينا طاعة الله عز وجل ، وطاعة النبي ﷺ حتى لا نضل الطريق ونحيد عن الحق ، وكذلك توجب علينا طاعة أولي الأمر ، لأن في عدم طاعتهم مفسدة عظيمة سواء أكان المقصود من أولى الأمر الأمراء أو العلماء [2] ، فما من خلاف حدث في الأمة إلا بسبب الاستخفاف بهما وعدم طاعتهما كما نقل ذلك الإمام القرطبي عن سهل التستري قال : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء ، فإذا عظموا هذين أصلح

---

[1]) سورة النساء الآية ٥٩ .

[2]) ذكر الإمام القرطبي اختلاف العلماء في المراد من أولى الأمر على عدة أقوال أذكر منها القول الأول : وهو قول الجمهور أنهم الأمراء . القول الثاني : وهو قول جابر وغيره واختيار مالك أنهم أهل القرآن والعلم . القول الثالث : أنهم أصحاب النبي ﷺ . القول الرابع : أنها إشارة إلى أبي بكر وعمر وغير ذلك من الأقوال وأصح هذه الأقوال الأول والثاني . أهـ تفسير القرطبي حـ٣ ص ١٨٢٩ .

الله دنياهم وأخراهم ، وإذا استخفوا بهذين فسد دنياهم وأخراهم حتى أنه قال : إذا نهى السلطان العالم أن يفتي فليس له أن يفتي ، فإن أفتى فهو عاص وإن كان أميراً جائراً . اهـ [1]

ولا أظن أن المقصود بالفتوى هنا ما يتعلق بالأصول المجمع عليها ، بل هى في الأمور المختلف فيها ، التي قد تلتبس على كثير من الناس ، فيمنع الفتوى بها لما قد يترتب عليها من خلاف وفرقة وانقسام للناس ، فيكون تغيراً للمنكر بمنكر أشد ، ومن هنا كانت حكمة التشريع في وجوب طاعة ولي الأمر للمحافظة على بيضة الأمة وسلامتها ، ولذا أورد الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية كثيراً من الروايات حول وجوب طاعة ولي الأمر أذكر منها ما يلي :

عن عبادة ابن الصامت - رضى الله عنه – قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال : " إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم فيه من الله برهان "[2] .

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة [3] .

---

[1]) تفسير القرطبي حـ٣ ص ١٨٢٩ ، ١٨٣٠ .

[2]) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أموراً تنكرونها رقم ٧٠٥٥ ، ٧٠٥٦ ومسلم باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رقم ١٧٠٩ .

[3]) الحديث أخرجه البخاري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية حديث رقم ٦٧٤٣ وأخرجه مسلم كتاب الإمارة باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق حديث رقم ٣٥٢٢ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : سيليكم ولاة بعدي فيليكم البر ببره والفاجر بفجره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم [1] .

فالآية الكريمة وهذه الروايات توجب طاعة ولي الأمر في المعروف حتى لا يحدث النزاع والشقاق فإن حدث نزاع وشقاق ترشدنا الآية الكريمة إلى الاحتكام إلى الله ورسوله كما قال سبحانه : M Ù Ø × Ö Õ ô Ó Ò L ä ã â á ß Þ Ý Ü ÛÚ .

ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – عن مجاهد وغير واحد من السلف أنهم قالوا : هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : M Í Ì Ë Ê È Ç Æ Å Ä Ã Â Á L Ñ Ð Ï Î الشورى: ١٠ " فما حكم به الكتاب والسنة وشهد له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال M Ü Û Ú L ß Þ Ý أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم M L ß Þ Ý Ü Û Ú فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع

---

[1]) تفسير ابن كثير حـ١ ص ٥١٧ والحديث أخرجه الطبري في الأوسط كتاب العيدين باب صفة من تجوز الصلاة معه والصلاة عليه رقم ٦٣١٠ والدار قطنى في السنن رقم ١٧٥٩ .

إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر وقوله : "ذلك خير" أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع خير "وأحسن تأويلا" أي وأحسن عاقبة ومآلا . اهـ [1]

فيجب علينا إذا ما حدث نزاع في أمر من أمور الدين ، وكذلك الدنيا أن نتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وذلك بالرجوع إلى أهل الذكر في كل فن ، والاحتكام إليهم ، كما قال سبحانه : M y x w v u t z } { L الأنبياء: ٧ حتى لا يفتح المجال لكل جاهل أن يتكلم فيما لا يعلم فيفتح باباً واسعاً للخلاف والشقاق .

ثانياً : الصلح بين المتقاتلين وقتال الفئة الباغية .

قال تعالى : M i j k l m n o q r s | { z y x w v u t } | { ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ L [2] .

ذكر الإمام الواجدي – رحمه الله – في سبب نزول هذه الآية أن أنساً – رضى الله عنه – قال : قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي ، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون ، وهى أرض سبخة ، فلما انطلق النبي ﷺ إليه قال : إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك . فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك . قال :

---

[1]) تفسير ابن كثير حـ١ ص ٥١٨ .
[2]) سورة الحجرات الآية ٩ .

فغضب لعبد الله رجال من قومه ، فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنه نزلت فيه

u t s r q o n m l k j i M

v w x y z { | { ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ

© ª « ¬ L [1] .

فهذه الآية الكريمة تمثل قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهى الإسراع في الصلح بين الطائفتين المتقاتلتين ، حتى تخمد الفتنة قبل أن تستشرى ، فيكثر القتل وتزداد الخصومة ، فإن رفضت إحدى الطائفتين الصلح ، ونكصت وبغت على الطائفة الأخرى ، فيجب على الأمة أن تقاتل الطائفة الباغية ، وتحاسبها على آثار بغيها .

والأمر هنا للوجوب كما قال العلامة الألوسى – رحمه الله – الأمر للوجوب فيجب الإصلاح ويجب قتال الباغية ما قاتلت ، وإذا كفت وقبضت عن الحرب تركت . اهـ [2] .

وكذا قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام ، أو على أحد من المسلمين ، وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين ، واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام "

---

[1]) أسباب النزول للإمام الواجدي ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ والرواية أخرجها البخاري كتاب الصلح باب ما جاء في الإصلاح بين الناس رقم ٢٦٩١ ، وأخرجها مسلم كتاب الجهاد والسير باب في دعائه صلى الله عليه وسلم إلى الله وصبره على أذى المنافقين رقم ١٧٩٩ .

[2]) روح المعاني حـ١٣ ص ٣٠٢ .

قتال المؤمن كفر "[1] ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا لكان الله تعالى قد أمر بالكفر تعالى الله عن ذلك ، وقد قاتل الصديق – رضى الله عنه – من تمسك بالإسلام وامتنع من الزكاة ، وأمر ألا يتبع مُوَلٍّ ولا يجهز على جريح، ولم تحل أموالهم بخلاف الواجب في الكفار .

ونقل عن الطبري قوله : لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ، ولزوم المنازل لما أقيم حد ، ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبى نسائهم وسفك دمائهم . اهـ[2] .

هذا ويمكن بنا أن نأخذ من الآية الكريمة M i j k l m

{ | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ L بعض اللطائف التي يفهم منها أن الأصل في الأمة أن تكون متماسكة متحدة ، محتفظة بعقيدتها حتى لو حدث قتال بين طوائفها ، فلا تخرج طائفة الأخرى من الملة ، بل يجب المصالحة ، فإن بغت إحداهما يجب قتالها حتى ترتدع ، ويقتص منها بالعدل ، نذكر من هذه اللطائف ما يلي :

<u>اللطيفة الأولى</u> : بداية الآية بحرف الشرط "إن" الذي يفيد الندرة يشير إلى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين . فإن قيل : فنحن نرى أكثر الاقتتال بين طوائفهم . نقول : قوله تعالى : "إن" إشارة إلى أنه ينبغي أن

---

[1]) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم [لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض رقم ٧٠٧٦ ، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم وقتاله كفر رقم ٦٤.

[2]) تفسير القرطبي حـ٩ ص ٦١٣٧ .

لا يقع إلا نادرا ، غاية ما في الباب أن الأمر على خلاف ما ينبغي ، وكذلك قوله "إن جاءكم فاسق بنبأ" إشارة إلى أن مجيء الفاسق بالنبأ ينبغي أن يقع قليلاً مع أن مجيء الفاسق بالنبأ كثير . وكذلك في قوله " فإن بغت" إشارة إلى ندرة أخرى وهى البغي لأنه غير متوقع [1] .

اللطيفة الثانية : في قوله تعالى " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا " وكذلك قوله تعالى " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم " دليل على أن القتال والبغي لا يزيل اسم الإيمان عن المقتتلين . .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – وذلك لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين . قال الحارث الأعور : سئل على بن أبي طالب – رضى الله عنه – وهو القدوة في قتال أهل البغي من أهل الجمل وصفين : أمشركون هم ؟ قال : لا من الشرك فروا . فقيل : أمنافقون ؟ قال : لا لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا . قيل : فما حالهم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا . اهـ [2]

اللطيفة الثالثة : في قوله تعالى : "فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله" إشارة إلى أن القتال ليس حداً للباغي كحد الشرب الذي يقام وإن ترك الشرب ، بل القتال إلى حد الفيئة ، فإن فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم [3] .

اللطيفة الرابعة : في قوله تعالى : " فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل" ولم يذكر العدل في قوله "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" وذلك لأن الإصلاح هناك بإزالة الاقتتال نفسه ، وذلك يكون بالنصيحة، أو التهديد والزجر والتعذيب . والإصلاح ههنا بإزالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات ، وهو حكم فقال "بالعدل" فكأنه قال : واحكموا

---

[1]) انظر مفاتيح الغيب حـ٢٨ ص ١١٥ ، ١١٦ بتصرف .
[2]) تفسير القرطبي حـ٩ ص ٦١٤٣ .
[3]) مفاتيح الغيب حـ٢٨ ص ١١٦ .

بينهما بعد تركهما القتال بالحق ، وأصلحوا بالعدل فيما يكون بينهما ، لئلا يؤدي إلى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى [1] .

وهكذا نرى الآية الكريمة تبين لنا أن أصل العلاقة بين المؤمنين ينبغي أن تكون قائمة على المودة والرحمة ، لتتآلف القلوب ، وتتحد القوالب وأن أمر الاقتتال بينهم لا يكون إلا نادرا ، وإن قدر ووقع يجب المسارعة في التخلص منه بالمصالحة ، فإن أبت طائفة الصلح وبغت ، فيجب قتال الباغي، ودفع الصائل ، والضرب على يده كما قال النبي ﷺ : انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا يا رسول الله ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالما . قال : تأخذ على يديه [2] . وذلك حتى لا تتضخم الفتنة ، وتعم الفوضى ، وتكون مصالح الناس وأرواحهم عرضة للضياع .

ثالثاً : العفو عن المخطئين

الذي يتدبر القرآن الكريم يجد كثيراً من آياته تبرز جانب العفو عن المخطئين ، مهما كانت ذنوبهم وأخطاؤهم ، وسواء كانت في حق الله تعالى كالذين عبدوا العجل من بني إسرائيل ومع ذلك عفا الله عنهم قال سبحانه :

N M L K J I H G F E D C B A @M

L U T S R Q P O [3] أو كانت في حق النبي ﷺ كما قال

عز وجل : M © ª » ¬ ® ¯ ° ± ² ´ µ ¶ ¹

---

[1]) مفاتيح الغيب حـ٢٨ ص ١١ .

[2]) أخرجه البخاري كتاب المظالم والغضب باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما رقم ٢٤٤٤ وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب الأداب ونصر الأخ ظالما أو مظلوما رقم ٢٥٨٤ .

[3]) سورة البقرة الآية ٥١، ٥٢ .

ª « ¼ ½ L [1] أو كانت في حق الناس كقوله تعالى :

M وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® L [2]

وغير ذلك من الآيات .

وإذا كنا بصدد الحديث عن العفو عن المخطئين من أفراد الأمة ، كي تلتأم الجراح ونلملم الفرقاء ، وتعود الأمة إلى وحدتها وقوتها ، فأفضل نموذج لذلك هو موقف النبي ﷺ من أصحابه بعد موقعة أحد ، فمع خطئهم الشديد إلا أن الله سبحانه وتعالى أمره بالعفو عنهم ، والاستغفار لهم ، ومشاورتهم في الأمر وقد سجل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : M (

; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *

. [3] L K J I H G F E D C B A @ ? > = <

فالآية الكريمة تبين موقف النبي ﷺ من أصحابه الذين خالفوا أمره يوم أحد ، وتركوا مواقعهم التي بوأها لهم ، وتسببوا في هزيمة المسلمين وفرارهم أمام عدوهم ، وتركهم لنبيهم ﷺ مثخنا في جراحه يدعوهم في أخراهم ، وهم لا يلوون عليه ولا يستجيبون إليه ولولا فضل الله تعالى ولطفه لهلكت هذه الأمة ، ومع هذا الخطر الكبير الذي تسبب فيه هؤلاء ، رأينا سعة قلب النبي ﷺ لهم ، ورحابة صدره بهم ولين جانبه إليهم ، وبشاشة وجهه معهم ، وحرصه الشديد على إرضائهم ، ولا يجتمع ذلك في

---

[1]) سورة المائدة الآية ١٣ .
[2]) سورة الشورى الآية ٤٠ .
[3]) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

بشر إلا أن تكون رحمة من الله قد نالته ، ففاضت عليهم وشملتهم ، كما قال ربنا سبحانه وتعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم " .

قال العلامة الألوسي – رحمه الله – هذا خطاب للنبي ﷺ والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاق الفارين الملامة والتعنيف من النبي ﷺ بمقتضى الجبلة البشرية ، حيث صدروا عنه وحياض الأهوال مترعة ، والحرب قائمة على ساق ، ولكن من رحمة الله به ﷺ أن ربط على جأشه ، وخصصه بمكارم الأخلاق ، وجعل الرفق ولين الجانب سبباً عن ربط الجأش ، لأن من ملك نفسه عند الغضب كان كامل الشجاعة . اهـ [1]

فما كان من النبي ﷺ إلا أن واساهم ، وربت على أكتافهم ولم يعاتبهم ، حتى لا يتسللوا من بين يديه وينفضوا من حوله ، كما قال سبحانه " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك " .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم ، تأليفاً لقلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو إني لأرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزيء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . اهـ [2] .

ولهذه الصفات الجليلة والخلال النبيلة أمره الحق سبحانه وتعالى بالعفو عنهم والاستغفار لهم ، فقال سبحانه " فاعف عنهم واستغفر لهم .. " .

---

[1]) روح المعاني حـ٢ ص ٣١٨ بتصريف .

[2]) تفسير ابن كثير حـ٢ ص ٣١٨ والحديث أخرجه البخاري كتاب البيوع باب كراهية السخب في الأسواق رقم ٢١٢٥ .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – أمره بأن يعفو عنهم فيما له في خاصته عليهم من تبعة ، فلما صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة أيضاً . اهـ [1] .

وعلاوة على الأمر بالعفو عنهم والاستغفار لهم ، أمره بمشاورتهم فيما يقبل عليه ، مع أنه ﷺ يوحى إليه ، إلا أن ذلك تطييباً لخاطرهم ، وحتى لا يظن أنه ﷺ لن يعاود مشاورتهم مرة أخرى بعد هذه النكبة التي ألمت بهم جراء مشاورتهم الأولى ، ولكن كان هذا بأمر من الله العليم بقلوب العباد ، الخبير بما يصلحها ويؤلفها ، وكذلك ليقرر مبدأ الشورى في الأمة مهما كانت الظروف والنتائج .

قال صاحب الظلال – رحمه الله – ولو كان وجود القيادة الراشدة في الأمة يكفي ويسد مسد مزاولة الشورى في أخطر الشئوون ، لكان وجود محمد ﷺ ومعه الوحي من الله سبحانه وتعالى كافياً لحرمان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى ، وبخاصة على ضوء النتائج المريرة التي صاحبتها ، في ظل الملابسات لنشأة الأمة المسلمة ، ولكن وجود محمد ﷺ ومعه الوحي الإلهي ، ووقوع تلك الأحداث ، ووجود تلك الملابسات لم يلغ هذا الحق ، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه لابد من مزاولته في أخطر الشئون ، ومهما تكن النتائج ، ومهما تكن الخسائر . اهـ [2] .

وبهذه الطريقة التي رسمها الله تعالى لنا ، في التعامل مع المخطئين - وهى العفو عنهم ، والحنو عليهم ، والتقرب منهم ، والاستغفار لهم ، ومشاورتهم في الأمر ، ومشاركتهم في تحمل القرار والمسئولية - تضيع الفرصة على الذين يتربصون بالأمة ، ليفرقوا شملها ، ويحطموا عزها ومجدها من خلال هؤلاء إذا لم يتم العفو عنهم ؛ فالعفو عن المخطئين من أفراد الأمة والإحسان إليهم ، يجتث شجرة الشر عندهم وينبت بذرة الخير فيهم فيعودوا إلى رشدهم ، ويلتحموا بإخوانهم التحام الجسد الواحد ، ليبنوا أمتهم ويردوا عنها كيد الكائدين .

---

[1]) تفسير القرطبي حـ ٣ ص ١٤٩١ .
[2]) في ظلال القرآن حـ١ ص ٥٠١ .

المبحث الثالث

(سد ذرائع الفرقة والاختلاف)

بعد ما تحدثنا في المبحثين السابقين عن توجيهات القرآن الكريم لترسيخ الوحدة بين المؤمنين ونبذ الخلاف بين المفترقين نتحدث في هذا المبحث عن بيان القرآن الكريم لأسباب الفرقة والاختلاف ، وتحذيره منها ، ليسد الذرائع المؤدية لها ، ويقطع الطريق الموصلة إليها ، ليكون ذلك بمثابة المصل الذي تطعم به الأمة ، حتى لا تصاب بهذا المرض اللعين .

ويتمثل ذلك فيما يلي :

أولاً : التحذير من كيد أهل الكتاب .

قال تعالى : M Þ Ý Ü Û Ú Ù Ø × Ö Õ Ô Ó

, + *) (' & % $ # " ! á à ß

- . / 0 1 2 3 L [1] .

هذه الآية الكريمة تحذر المؤمنين من كيد جماعة من أهل الكتاب تضمر الشر لهم ، وتريد الوقيعة بينهم ، بعد ما أساءهم وحدة المسلمين وألفتهم ، والمؤاخاة بينهم واجتماع كلمتهم ، بعد ما كانوا شتاتاً متنازعين وقبائل متناحرين ، فعمدوا إلى إثارة الفتنة بينهم ، وإحياء العصبية فيهم ، ليردوهم بعد إيمانهم كفاراً مختلفي المشارب متنازعي الأهواء ، ليدب فيهم داء الفرقة والاختلاف ، وبالتالي تضعف قوتهم وتكسر شوكتهم ، فلا يمثلوا تهديداً لهم أو خطراً عليهم .

---

[1]) سورة آل عمران الآيتان ١٠٠، ١٠١ .

ذكر المفسرون أن هتين الآيتين وما بعدهما نزلت في يهودي أراد تجديد الفتنة بين الأوس والخزرج ، بعد انقطاعها بالنبي ﷺ ، فجلس بينهم وأنشد شعراً قاله أحد الحيين في حربهم ، فقال الحي الآخر قد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا ، فكأنهم دخلهم من ذلك شيء ، فقالوا تعالوا نرد الحرب جذعاً كما كانت . فنادى هؤلاء : يا آل الأوس . ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال فنزلت هذه الآية فجاء النبي ﷺ فقرأها ورفع صوته ، فلما سمعوا صوته أنصتوا له ، وجعلوا يستمعون ، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون قال ابن عباس وعكرمة وغيرهما : والذي فعل ذلك شاس بن قيس اليهودي دس على الأوس والخزرج من يذكرهم بما كان بينهم من حروب . اهـ [1]

وإن كانت الآيات الكريمات نزلت في هذه الحادثة ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وأن الآيات الكريمات تصور حال الضالين من أهل الكتاب في كل زمان ومكان ، وأنهم متربصون بالأمة الإسلامية ، يثيرون فيها الفتن والقلاقل بإحياء العصبية والطائفية ، وجميع أنواع الضلالات التي توقع العداوة والبغضاء بين المسلمين ، لتضرب وحدتهم ، وتفرق جماعتهم ،وتجعلهم شيعا وجماعات يضرب بعضهم رقاب بعض .

وهذا هو واقعنا الذي نعيشه ونحياه ، وهذا هو الداء الذي استشرى في أمتنا فأنهكها ، وفينا من يعضد ذلك تحت مسميات مختلفة ، ورايات شتى مرة باسم الطائفية والعرقية والحركات الانفصالية ومرة باسم الحرية واللبرالية والعلمانية ، ومرة باسم الاشتراكية أو الرأسمالية ، ومرة باسم

---

[1]) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٨٤ ، ٨٥ وتفسير ابن كثير حـ٢ ص ٣٨٩ ، تفسير القرطبي حـ٣ ص ١٣٩٧ .

التيارات السياسية اليمين والوسط واليسار ، ومرة باسم التيارات الإسلامية إخوان وسلف وجهاد . . . . وهلم جرا وإذا فتشت عن أساس كل ذلك ، وتلمست خيط كل فكرة ، وأساس كل نزاع ، وصلت في النهاية إلى هؤلاء الذين حذرنا الله منهم فاحذرهم .

ثانياً : التحذير من مشابهة أهل الكتاب

قال تعالى : M وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ¢ £ ¤ ¥ ¦ L [1] .

بعد ما حذرنا الحق سبحانه وتعالى في الآيات السابقة من كيد أهل الكتاب . لنأمن شرهم ولا ننخدع بهم ، وكذلك أمرنا بالتمسك بدينه والاعتصام بحبله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتظل الأمة راسخة الأركان متماسكة البنيان ، حذرنا هنا من مشابهتهم في افتراقهم واختلافهم، والقرآن الكريم إذ يذكر لنا هذا النموذج من أهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وأصبحو طوائف وشيعا ليكون لنا في ذلك عبرة وعظة حتى لا نصبح مثلهم .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم ، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم ، روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن يحيى قال : حججنا مع معاوية بن أبي سفيان – رضى الله عنهما – فلما قدمنا مكة قام حين صلى الظهر فقال : إن رسول الله ﷺ قال { إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على

---

[1]) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .

ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة – وهى الجماعة – وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله } والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم لغيركم من الناس أحرى ألا يقوم به . اهـ [1] .

وقال صاحب الظلال – رحمه الله – يحذر الله تعالى الجماعة المسلمة من التفرق والاختلاف ، وينذرها عاقبة الذين حملوا أمانة منهج الله قبلها – من أهل الكتاب – ثم تفرقوا واختلفوا فنزع الله الراية منهم وسلمها للجماعة المسلمة المتآخية . اهـ [2] .

وقوله تعالى : M مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ L يدل على أن الذين قادوا الناس للفرقة هم أرباب العلم من أهل الكتاب ، وأنهم فعلوا نقيض ما ينبغي فعله ، فالبينات التي جاءتهم تنبذ الخلاف والشقاق ، وهم كانوا سببا في رسوخه وترويجه ، وما دفعهم إلى ذلك إلا البغي والحسد فيما بينهم ، وقد جاء ذلك واضحاً في آيات كثيرة في القرآن الكريم منها .

قوله تعالى: M b c d e f g h i j k l m n L [3] .

وقوله سبحانه: M N O P Q R S T U V W X Y Z L [4].

---

[1]) تفسير ابن كثير والحديث في مستدرك الحاكم ط ص ٢١٨ حديث رقم ٤٤٣ ط دار الكتب العلمية وقال فيه الذهبي اسانيده تقوم به الحجة .
[2]) في ظلال القرآن حـ١ ص ٤٤٥ .
[3]) سورة البقرة من الآية ٢١٣ .
[4]) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

وقوله عز وجل : M l k j i h g f e d c L[1] .

وقوله تبارك وتعالى : M V U T S R Q O N M L L[2] .

قال العلامة الألوسي – رحمه الله – قوله تعالى {وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه} أي الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف وإزالة الشقاق ، أي عكسوا الأمر ، حيث جعلوا ما أنزل مزيحاً للاختلاف سبباً لرسوخه واستحكامه . وعبر عن "الإنزال" بالإيتاء للتنبيه من أول الأمر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فيه من الحق ، فإن الإنزال لا يفيد ذلك . وقيل : عبّر به ليختص الموصول بأرباب العلم والدراسة من أولئك المختلفين وخصهم بالذكر لمزيد شناعة فعلهم ، ولآن غيرهم تبع لهم.أهـ [3].

وفي ذلك تحذير لعلماء المسلمين بألا يكونوا مثلهم فيكونوا قادة للفرقة والاختلاف ، ولا يغتر الواحد منهم بكثرة أتباعه وأشياعه فيستغل ثقتهم فيه، وانقيادهم إليه فيقودهم إلى الهلاك والفرقة والشقاق ولو أن كل داعية وصاحب فكر جعل لنفسه فصيلاً يأتمر بأمره ، لأصبحت فصائل الأمة وجماعاتها لا حصر لها ، ولو تمسك كل فصيل برأيه ، لأصبحت نقاط الخلاف لا نهاية لها ، وفي هذه الحالة نكون قد تفوقنا على أهل الكتاب الذين حذرنا الله من مشابهتهم .

---

[1]) سورة يونس من الآية ٩٣ .
[2]) سورة الجاثية من الآية ١٧ .
[3]) روح المعاني حـ ٢ ص ٢٤٠ .

ثالثاً : التحذير من نزغ [1] الشيطان والأمر بالاستعاذة بالله منه

قال تعالى: M L X W V U S R Q P O N M [2].

وقال سبحانه: M u t s r q p o n m l k j L w v [3].

وقال عز وجل : M وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ¤ £ ¢ ¥ ¦ L [4].

إذا نظرنا إلى هذه الآيات الكريمات في سورها وجدناها تحذر من وساوس الشيطان وتأمر بالاستعاذة بالله منه بعد الحديث عن العفو والصفح والإعراض عن الجاهلين والدفع بالتي هى أحسن ففي سورة الأعراف يقول الله تعالى : M E F G H I J K L L [5] ثم يقول: M N O P Q R S U V W L وفي سورة المؤمنون يقول الله تعالى: M _ ` a b c e f g h L [6] ثم يقول: M j k l m n o p q r s t u v w L

---

[1]) النزغ كالنخس والنغز والوكز : إصابة الجسم برأس محدود كالإبرة والمهماز ، والمراد به هنا نزغ الشيطان بإثارة داعية الشر والفساد في النفس ، بغضب أو شهوة بحيث تلجئ صاحبها إلى العمل بتأثيرها كما تنخس الدابة بالمهماز لتسرع – تفسير المراغي حـ٩ ص ١٤٩ .

[2]) سورة الأعراف الآية ٢٠٠ .

[3]) سورة المؤمنون الآيتان ٩٧ ، ٩٨ .

[4]) سورة فصلت الآية ٣٦ .

[5]) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

[6]) سورة المؤمنون الآية ٩٦ .

وفي سورة فصلت يقول تعالى : M ` a b c d e f g

w v u t s r q p o n m l k j i h

x L [1] ثم يقول : M وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ¢ £ ¤

¥ ¦ L .

فهذا يدل على أن الشيطان متربص بالمؤمنين ، لا يريد الخير لهم ولا الصلح بينهم ، بل يريد أن يبقى العراك على أشده والفتنة قائمة لا تخمد لتتأجج حالة الغضب بين المؤمنين فيجد له منفذا لينفث سمومه ويوغر صدور المؤمنين ، فإذا ما استشعر المؤمن ذلك عليه أن يلجأ إلى ربه ليقيه شره ، وليذهب هذا الغضب من قلبه .

أخرج الإمام البخاري بسنده عن سليمان بن صرد – رضى الله عنه – قال : استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضباً وقد احمر وجهه فقال النبي ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده ، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم [2] .

والاستعاذة بالله من الشياطين هى دأب المتقين كما بين ربنا سبحانه وتعالى ذلك في سورة الأعراف فبعد ما أمر بالاستعاذة من همزات الشياطين قال بعدها : M Z Y [\ ] ^ _ ` a b c d e L [3] .

---

[1]) سورة فصلت الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

[2]) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب حديث رقم ٥٧٧٠ وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب من يملك نفسه عند الغضب رقم ٤٨٣٢ .

[3]) سورة الأعراف الآية ٢٠١ .

قال صاحب الميزان – رحمه الله – هذه الآية بمنزلة التعليل بالأمر بالاستعاذة في الآية السابقة . والمعنى : استعذ بالله عند نزغة الشيطان فإن هذا طريق المتقين ، فهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أن الله هو ربهم الذي يملكهم ويربيهم ، ويرجع إليه أمرهم فأرجعوا إليه الأمر فكفاهم مؤنته ، ودفع عنهم كيده ، ورفع عنهم حجاب الغفلة فإذا هم مبصرون غير مضروب عل أبصارهم بحجاب الغفلة فالآية في معنى قوله تعالى : w v M

لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ L سورة النحل الأية ٩٩ اهـ [1].

والاستعاذة بالله عز وجل في دفع وساوس الشيطان هى الطريقة المثلى لأنه خالقه ومالكه فهو القادر عليه وتحت ملكه وسلطانه .

ذكر الإمام القرطبي – رحمه الله – عن أحد السلف أنه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا ، قال : أجاهده . قال : فإن عاد . قال : أجاهده . قال : هذا يطول أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور، ما تصنع ؟ قال أكابده [أرده جهدي] . قال : هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك . اهـ [2] .

والأولى من ذلك كله أن يسد المؤمن الطريق بينه وبين الشيطان ، ويضيق مداخله ، ويقطع حبائله ، وذلك بالمودة وحسن الخلق ولين الكلام مع الجميع ، وقد أرشدنا الحق سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله :

---

[1]) تفسير الميزان للطباطبائي عند تفسيره لآية الأعراف ٢٠١ .
[2]) تفسير القرطبي حـ٤ ص ٢٧٨٤ .

_ ^] \ Z Y X W U T S R Q P M

` a b L [1] .

قال صاحب الظلال – رحمه الله – يقولوا التي هى أحسن على وجه الإطلاق ، وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه ، وبذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة ، فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، وبالرد السيء يتلوها ، فإذا جوالود والمحبة مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء ، والكلمة الطيبة تأسوا جراح القلوب تندى جفافها وتجمعها على الود الكريم " \ [^ _ ` a "

يتلمس سقطات فمه ، وعسرات لسانه ، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، والكلمة الطيبة تسد الثغرات ، وتقطع عليه الطريق وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته . اهـ [2] .

وعداوة الشيطان عداوة قديمة ، فهو عدو أبينا آدم ، وعدو أبيك عدوك، فهو متربص بالمؤمنين ، يريد أن يصدهم عن الحق ما أمكن تنفيذاً لعهده السابق ، فإذا لم يستطع ذلك حرش بينهم ليوقع بينهم العداوة والبغضاء كما جاء في الخبر { إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم [3] . فاحذروا كيده وسدوا منافذه باللجوء إلى الله عز وجل والتحصن بحصنه ليقيكم من شره .

---

[1]) سورة الإسراء الآية ٥٣ .
[2]) في ظلال القرآن حـ ٤ ص ٢٢٣٤ .
[3]) الحديث أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار رقم ٧٢٨٢ والترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في التباغض رقم ٢٥ وأحمد في المسند رقم ٣٠٩٧ .

رابعاً : تغليب المصالحة على المصلحة

قال تعالى : M ! " # % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 L [1] .

ذكر الإمام الواحدي في سبب نزول هذه الآية عن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – قال لما هزم العدو يوم بدر ، واتبعتهم طائفة وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ ، واستولت طائفة على العسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل بحسن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ والله ما أنتم بأحق به منا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ حتى لا ينال العدو منه غرة فهو لنا ، وقال الذين استولوا على العسكر والنهب والله ما أنتم بأحق به منا ، أخذناه . واستولينا عليه فهو لنا ، فأنزل الله تعالى يسألونك عن الأنفال فقسمه رسول الله ﷺ بالسوية اهـ [2] .

هذه الرواية تشير إلى أنه قد حدث نزاع بين المؤمنين في أمر الغنائم ، بين من لحق بالمشركين لقتالهم ، وبين من جمع الغنائم ، وبين من حمى رسول الله ﷺ ، وكل فريق منهم ظن أنه الأحق بها ، أو صاحب النصيب الأكبر منها ، فاستفتوا النبي ﷺ فنزلت الآية الكريمة ، وقسمها النبي ﷺ عليهم بالسوية . ونلحظ في الآية الكريمة أن إجابة السؤال [يسألونك عن الأنفال] في كلمتين [الأنفال لله والرسول] ثم انتقلت الآية وما بعدها إلى ما هو أهم من ذلك ، وهو مصالحة المؤمنين وإصلاح ذات بينهم ، لأن فساد

---

[1]) سورة الأنفال الآية الأولى والمراد بالأنفال : الغنائم وهى الأموال المأخوذة من الكفار قهراً مفاتيح الغيب حـ١٥ ص ٩٥ .

[2]) أسباب النزول للإمام الواحدي ص ١٧٣ وذكرها الحافظ ابن كثير مطولة عن الإمام أحمد حـ٢ ص ٢٨٣ .

ذات البين هى الحالقة التي تحلق الدين وتدمر الأمة فقال سبحانه " *

+ , - . / 0 1 2 3 4 5 ".

قال العلامة الألوسي – رحمه الله – إذا كان أمر الغنائم لله ورسوله فاتقوه سبحانه وتعالى ، واجتنبوا ما أنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لشق العصا وسخطه تعالى اهـ [1] .

ولأهمية المصالحة بدأ الحق سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة التي تتحدث عن معركة بدر بهذه الآية التي تتحدث عن الأنفال ، والخلاف في أمرها ، وما وجه به الحق سبحانه وتعالى من إصلاح ذات بين المؤمنين ، مع أن هذا الأمر كان في نهاية المعركة ، ليبين أن المصالحة بين المؤمنين من أهم مقاصد الدين وأن مسألة الأموال وتقسيمها ، وتحقيق المصالح الخاصة ، أمر لا قيمة له بالنسبة لمصالح الأمة العامة وسياستها العليا ، ولذلك نجد أن إصلاح ذات البين جاء في الآية الكريمة بين أمرين عظيمين، هما تقوى الله عز وجل ، وطاعة الله رسوله ﷺ فقال سبحانه : M * +

, - . / 0 1 2 L .

قال العلامة الألوسي – رحمه الله – وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح بحسب المقام ، ولينـدرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة . اهـ [2]

---

[1]) روح المعاني حـ٥ ص ١٥٤ .
[2]) روح المعاني حـ ٥ ص ١٥٤ .

وكذلك ختم الآية بقوله تعالى : M 3 4 5 L الذي يفيد التهييج والتحفيز وأن الصلح بين المؤمنين من مقتضى الإيمان .

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – بالغ تعالى في تأكيد الأمر بالصلح والطاعة فقال M 3 4 5 L والمراد أن الإيمان الذي دعاكم الرسول إليه ورغبتم فيه ، لا يتم حصوله إلا بالتزام هذه الطاعة فاحذروا الخروج عنها . اهـ [1]

وإذا نظرنا إلى الخلاف الذي حدث بين المسلمين في بدر وأحد وحنين ، نجد أنه لم يحدث إلا بسبب المال وتقسيمه ، وفي كل موطن من هذه المواطن يحذرهم القرآن الكريم والنبي ﷺ من هذه النظرة الضيقة ليلفت انتباههم إلى ما هو أسمى وأغلى ، وهو وحدة الأمة وترابط المسلمين .

خامسا : إقامة العدل بين الناس

وقد قرر القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : M ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ » ¼ ½ ¾ ¿ Á Â Ã Ä Å Æ L [2] .

وقوله سبحانه : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > @ A B C D E F G H I J L [3] .

---

[1]) مفاتيح الغيب حـ ١٥ ص ٩٧ بتصرف .
[2]) سورة النساء الآية ٥٨ .
[3]) سورة النساء الآية ١٣٥ .

وقولـه عز وجل : M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ

± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢

³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ L [1].

وقولـه تبـارك وتعـالى : M 8 9 : ; < = > ? @ A

B D E F G H I L [2].

وقولـه جل شـأنه : M É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó

Ô Õ Ö × Ø Ù Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ

ç è L [3].

وقولــه عــز اســمه : M ! " # $ % & '

( ) * + , - . / 0 1 2 3 4

5 6 7 8 9 : ; < = > ? L [4].

كل هذه الآيـات الكريمـات تـأمر المـؤمنين بإقامـة العدل ، الـذي يـضمن وصول الحق إلى أهله ، ويقرر المساواة بين جميع النـاس ، فلا محاباه لأحد ولا ميل لـهوى ولا لعصبة ، بل يجب أن يكون ميزان العدل واحد للجميـع ، حتى تزول الأحقاد من القلوب وتتسرب الغوائل من الصدور ، ويكون العدل هو الأساس الذي تنطلق منه الأمة ، والقاعدة التي ينبثق منها العدل في كل حركـة من حركـات الحيـاة ، العدل فـي الملك والحكم ، والعدل فـي الشهادة والقضاء ، والعدل فـي توزيـع الأمـوال والولايـات باستحقاق ، والعدل بـين

---

[1]) سورة المائدة الآية ٨ .
[2]) سورة الأنعام من الآية ١٥٢ .
[3]) سورة ص الآية ٢٦ .
[4]) سورة الحديد الآية ٢٥ .

الزوجات والأولاد إلى غير ذلك مما يجب أن يقام العدل فيه حتى يحيا الناس حياة كريمة مطمئنة ، بعيدة عن الضغائن والأحقاد .

قال العلامة ابن عاشور – رحمه الله – العدل : مساواة بين الناس ، أو بين أفراد وأمة في تعيين الأشياء لمستحقيها ، وفي تمكين كل ذي حق من حقه بدون تأخير فهو مساواة في استحقاق الأشياء ، وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها ، فالأول هو العدل في تعيين الحقوق ، والثاني هو العدل في التنفيذ .

وإذا كان العدل تجول في تحديده أفهام مخطئة ، تسن الشرائع لضبطه على حسب مدارك المشرعين ومصطلحات المشرع لهم ، على أن معظمها لم يسلم من تحريف لحقيقة العدل في بعض الأحوال ، فإن بعض القوانين أسست بدافعة الغضب والأنانية ، فتضمنت أخطاء فاحشة مثل القوانين التي يمليها الثوار بدافع الغضب على من كانوا متولين الأمور قبلهم ، وبعض القوانين المتفرعة من تخيلات وأوهام ، كقوانين أهل الجاهلية والأمم العريقة في الوثنية .

وأعلى القوانين هى الشرائع الإلهية لمناسبتها لحال من شرعت لأجلهم، وأعظمها شريعة الإسلام ، لابتنائها على أساس المصالح الخالصة أو الراجحة ، وإعراضها عن أهواء الأمم والعوائد الضالة ، فإنها لا تعبأ بالأنانية والهوى ، ولا بعوائد الفساد ولأنها لا تبنى على مصالح قبيلة خاصة أو بلد خاص ، بل تبنى على مصالح النوع البشري وتقويمه وهديه إلى سواء السبيل . اهـ [1]

---

[1]) التحرير والتنوير لابن عاشور حـ٥ ص ٩٤ ، ٩٥ بتصرف .

ولا أدل على ذلك من إعطاء النبي ﷺ مفتاح الكعبة يوم فتح مكة لعثمان بن طلحة ومنعه من عمه العباس بن عبد المطلب وأنزل الله في ذلك قوله تعالى : M ¨ © ª » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶

. L Æ Å Ä Ã Â Á ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸

ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أن العباس بن عبد المطلب – رضى الله عنه – وقيل على بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال ﷺ :أين عثمان بن طلحة . فدعى له ، فقال له : هاك مفتاحك يا عثمان اليو يوم وفاء وبر . أهـ [1]

وكذلك ما نزل من القرآن منصفاً لليهودي وتبرئته من التهمة التي رماه بها جماعة من المسلمين فقال تعالى : M ¸ º ¹ » ¼ ½

. [2] L È Ç Æ Å Ä Â Á À ¿ ¾

ذكر المفسرون أن طعمة بن أبيرق سرق درعاً ، فلما طلبت الدرع منه رمى واحداً من اليهود بتلك السرقة ، ولما اشتدت الخصومة بين قومه وبين قوم اليهودي جاء قومه إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يعينهم على هذا المقصود ، وأن يلحق هذه الخيانة باليهودي فهم الرسول ﷺ بذلك فنزلت الآية . اهـ [3]

---

[1]) تفسير ابن كثير حـ١ ص ١٠٦ .

[2]) سورة النساء الآية ١٠٥ .

[3]) انظر مفاتيح الغيب حـ١١ ص ٢٩ والروايه أخرجها الترمذي كتاب التفسير باب من سورة النساء الحديث رقم ٣٠٣٦ والحاكم ٨١٦٤/٤ والطبراني في الكبير ١٩١٥ من حديث قتادة والحديث حسنه الألبائي في صحيح سنن الترمذي .

فليس في الإسلام محاباة للون ولا عرق ولا دين ، فالناس في نظر الإسلام سواء في تحقيق العدل بينهم ولذا أطلق النص القرآني لفظ الناس في كل هذه الآيات المقررة للعدل فقال سبحانه : M ² ³ ´ µ ¶ L

وقال تعالى : M ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ L

وقال عز وجل : M É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð L

وغير ذلك من الآيات . L Ñ Ò

قال صاحب الظلال – رحمه الله – أما الحكم بالعدل بين الناس فالنص يطلق هكذا عدلاً شاملاً بين الناس جميعاً ، لا عدلا بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب ، ولا عدلا مع أهل الكتاب دون سائر الناس وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه إنسانا ، فهذه الصفة [صفة الناس] هى التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني ، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً ، مؤمنين وكفارا أصدقاء وأعداء ، سوداً وبيضاً عربا وعجما ، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل متى حكمت في أمرهم ، هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط في هذه الصورة إلا على يد الإسلام ، وإلا في حكم المسلمين . اهـ [1]

فالإسلام يقرر هذا المبدأ ، ويقعد هذه القاعدة ، ليبني عليها بناء الإسلام الشامخ ، لتظل الأمة متماسكة الأركان مصونة من التفكك والانقسام ، وما برزت الخلافات في الأمة ، ولا انتفض الناس ثائرين ولا حدث اقتتال بينهم قديماً وحديثاً إلا لمظنة عدم إقامة العدل بين الناس .

---

[1]) في ظلال القرآن حـ٢ ص ٦٨٩ .

سادساً : التثبت في الحكم على الناس بالكفر

قال تعالى : M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡

º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬

» ¼ ½ ¾ ¿ À L [1] .

ذكر المفسرون [2] في سبب نزول هذه الآية عدة روايات منها :-

الرواية الأولى : أن مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره ، فذهبت سرية الرسول ﷺ إلى قومه ، وأميرهم غالب بن فضالة فهرب القوم وبقى مرداس لثقته بإسلامه ، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل ، فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل ، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد وساق غنمه ، فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجدا شديداً ، وقال قتلتموه إرادة ما معه ، ثم قرأ الآية على أسامة . فقال أسامة : يا رسول الله استغفر لي فقال : كيف وقد تلا لا إله إلا الله قال أسامه : فما زال يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت يومئذ ، ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة [3] .

الرواية الثانية : أن القاتل ملحم بن جثامة ، لقيه عامر بن الأضبط فحياه بتحية الإسلام ، وكانت بين ملحم وبينه إحنة في الجاهلية فرماه بسهم

---

[1]) سورة النساء الآية ٩٤ . .

[2]) انظر مفاتيح الغيب حـ١١ ص ٣ ، ٤ .

[3]) هذه الرواية أخرجها البخاري حديث كتاب المغازي باب بعث النبي أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة رقم ٤٢٦٩ وأخرجها مسلم كتاب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله رقم ٩٦ ، وأخرجها أبو داود كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون من حديث أسامه بن زيد رقم ٢٦٤٣ .

فقتله، فغضب رسول الله ﷺ فقال : لا غفر الله لك . فما مضت به سبعة أيام حتى مات ، فدفنوه فلفظته الأرض ثلاث مرات ، فقال النبي ﷺ : إن الأرض لتقبل من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يريكم عظم الذنب ، ثم أمر أن تلقى عليه الحجارة [1] .

الرواية الثالثة : أن المقداد بن الأسود قد وقعت له مثل واقعة أسامة قال : فقلت يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فقاتلني ، فضرب إحدى يدي بالسيف ثم لاذ بشجرة فقال أسلمت لله تعالى ، أفأقتله يا رسول الله بعد ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك بعد ما تقتله ، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال [2] .

فالآية الكريمة وهذه الروايات تأمر المؤمنين أن يتثبتوا في الحكم على الناس وأن يأخذوا بما ظهر لهم من القول ، ولا يفتشوا عما في قلوبهم ، لأنه لا سبيل لهم عليه ، والمعول عليه في إجراء أحكام الإسلام على الناس هو ما تنطق به ألسنتهم لا ما يضمرونه في قلوبهم ، ولا أدل على ذلك من معاملة الرسول ﷺ للمنافقين مع أن الله شهد بكذبهم .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – استدل بهذه الآية من قال إن الإيمان هو القول لقوله تعالى : " ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا " قالوا ولما منع أن يقال لمن قال لا إله إلا الله لست مؤمنا ، منع من قتلهم بمجرد القول ، ولولا الإيمان الذي هو هذا القول لم يعب قتلهم . قلنا : إنما

---

[1]) هذه الرواية أخرجها ابن ماجه كتاب الفتن باب الكف عمن قال لا إله إلا الله من حديث عمران بن حصين رقم ٣٩٣٠ . وقال البوصيري في الذوائد هذا إسناد حسن .

[2]) هذه الرواية أخرجها البخاري كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا رقم ٤٠١٩ وأخرجها مسلم كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله رقم ٥٩ وأخرجها أبو دأود كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون من حديث المقداد بن الأسود رقم ٢٦٤٤.

شك القوم في حالة أن يكون هذا القول منه تعوذا فقتلوه والله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر وقد قال ﷺ { أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله } [1] وليس في ذلك أن الإيمان هو الإقرار فقط ألا ترى أن المنافقين كانوا يقولون هذا القول ولسيوا بمؤمنين . فثبت أن الإيمان هو الإقرار وغيره وأن حقيقته التصديق بالقلب ولكن ليس للعبد طريق إليه إلا ما سمع فقط . اهـ [2]

نقول إن قول القائل كلمة الإيمان هو ما يحكم به في الدنيا ، وتجري على أساسه أحكام المسلمين ، أما الإيمان المنجي في الآخرة فليس القول فحسب ، ولكنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان ، وعمل بالجوارح والأركان أما سمعت قول الله تعالى في شأن المنافقين : 9 M : ; < = >

O N M L K J I H G F E D C B A @ ?

_ ^] \ [Z X W V U T S R Q P

L j i h g f e d c b a ` [3] ومع هذا عاملهم النبي ﷺ معاملة المسلمين ، وذلك حتى لا يتذرع الناس لاتهام بعضهم بالكفر، فتسفك الدماء وتنهب الأموال وتشيع الفوضى بين الناس .

قال العلامة بن عاشور – رحمه الله – دلت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة الدينية ، وهى بث الثقة والأمان بين أفراد الأمة ، وطرح ما

---

[1]) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة رقم ٣٩٢ . وأخرجه مسلم باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .
[2]) تفسير القرطبي حـ٣ ص ١٩١٠ ، ١٩١١ .
[3]) سورة الحديد الآيتان ١٣ ، ١٤ .

من شأنه إدخال الشك ، لأنه إذا فتح هذا الباب عسر سده ، وكما يتهم المتهم غيره ، فللغير أن يتهم من اتهمه ، وبذلك ترتفع الثقة ويسهل على ضعفاء الإيمان المروق إذ قد أصبحت التهمة تطل الصادق والمنافق ، وانظر معاملة النبي ﷺ المنافقين معاملة المسلمين ، على أن هذا الدين سريع السريان في القلوب ، فيكتفي أهله بدخول الداخلين فيه من غير مناقشة ، إذ لا يلبثون أن يألفوه وتخالط بشاشته قلوبهم ، فهم يقتحمونه على شك وتردد فيصير إيمانا راسخاً ، ومما يعين على ذلك ثقة السابقين باللاحقين بهم . ومن أجل ذلك أعاد الله الأمر بالتبين في الآية فقال " فتبينوا " تأكيدا لـ" تبينوا" المذكور قبله ، وذيله بقوله " إن الله كان بما تعملون خبيرا " وهو يجمع وعيدا ووعدا . اهـ [1] .

فيجب على الأمة وخاصة المتصدين للدعوة ، ألا يقبلوا على تكفير الناس ، أو تفسيقهم أو تبديعهم بحسب ما يرونه ، فهذا الأمر ليس موكولا لهم ، إنما أمره إلى الله وليس لنا إلا الظاهر والله يتولى السرائر ، وما تفرقت الأمة وأصبحت شيعاً ، واستباح الناس حرمات بعضهم إلا من جراء هذا الفكر الهابط ، والفهم الخاطئ ، واستعلاء أصحابه على الناس ، وظنهم أنهم على الحق المطلق ، وغيرهم في ضلال مبين .

سابعاً : التثبيت في تلقي الأخبار

قال تعالى : M / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :
; < = > ? @ L [2] .

---

[1]) التحرير والتنوير حـ٥ ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
[2]) سورة الحجرات الآية ٦ .

ذكر الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في سبب نزول هذه الآية ما رواه الإمام أحمد بسنده أن الحارث بن ضرار الخزاعي – رضى الله عنه – قال : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام ، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداة الزكاة ، فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إليَّ يا رسول الله رسولاً لإبان [1] كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه ، احتبس الرسول فلم يأت ، فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله ﷺ ، فدعا سروات [2] قومه فقال لهم : رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتا يرسل إليَّ رسوله يقبض ما كان عندنا من الزكاة ، وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى إلا من سخطة ، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان رضى الله تعالى عنه لأمه ، إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد إلى أن بلغ بعض الطريق فرق فرجع ، فأتى رسول الله ﷺ فقال إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي ، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث . فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم ؟ قالوا إليك . قال ولم ؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضى الله عنه ، لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بته ولا أتاني ، فلما دخل الحارث على رسول

---

[1]) إبّان الشيء أوانه ويغلب استعماله مضافاً مثل إبان الفاكهة – المعجم الوجيز مادة [أبّن] ص٤.
[2]) سروات جمع سراة وسراة كل شئ وسطه ومعظمه – المعجم الوجيز مادة سرى ص٣٠٩ .

الله ﷺ قال : { منعت الزكاة وأردت قتل رسولي } قال لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله فنزلت الآية [1] .

فالآية توجب على المؤمنين أن يتثبتوا عند تلقي الأخبار وأن يتروا في قبولها والحكم بمقتضاها ، وخاصة في الأخبار المهمة [2] فربما تكون كذبا فيقعوا في المحظور وربما يترتب عليها فساد كبير فينتابهم الندم بعد ذلك كما قال سبحانه [فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة] .

قال الشيخ السعدي – رحمه الله – هذا من الآداب التي على أولى الألباب التأدب بها ، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بنبأ أي خبر أن يتثبتوا في خبره ولا يأخذوه مجردا ، فإن في ذلك خطرا كبيراً ووقوعا في الإثم ، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق حكم بموجب ذلك ومقتضاه ، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببا للندامة ، بل الواجب عند سماع خبر الفاسق التثبت والتبين . أهـ [3]

ونلحظ أنه بعد هذه الآية الكريمة التي توجب التبين في الأخبار يأتي قول الله تعالى : M i j k l m n o L[4] مما يشير إلى أن الأخبار الكاذبة قد تفضي إلى الاقتتال بين المؤمنين .

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله تعالى – في الربط بين الآيات : لما حذر الله المؤمنين من النبأ الصادر من الفاسق ، أشار إلى ما يلزم منه

---

[1]) تفسير ابن كثير حـ٤ ص ٢٠٩ .
[2]) ولذا عبر عنها في الآية بكلمة نبأ والنبأ كما قال الراغب : لا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يكون ذا فائدة عظيمة انظر روح المعاني حـ ٣ ص ٢٩٧ .
[3]) تفسير السعدي حـ٥ ص ٧٤ .
[4]) سورة الحجرات من الآية ٩ .

استدراكا لما يفوت ، فقال فإن اتفق أنكم تبنون على قول من يوقع بينكم ، وآل الأمر إلى اقتتال طائفتين من المؤمنين فأزيلوا ما أثبته ذلك الفاسق ، وأصلحوا بينهما . اهـ [1]

وكذلك وصف المؤدي للخبر بالفسق يشير إلى أنه يجب على الذي ينقل الأخبار أن يتحرى الدقة في كل ما ينقل وليعلم أنه متحمل لأمانة عظيمة قد يترتب عليها هلاك أو صلاح فرد أو أسرة أو أمة ، وما حدث من فتن في أمتنا قديما وحديثاً كان بسبب الإصغاء إلى أخبار مكذوبة ، أوغرت صدور الكبار والصغار ، مما جر علينا الوبال والدمار .

ثامناً : ترسيخ حقوق الأخوة بين المؤمنين

قال تعالى : M ¬ ® ¯ ° ± ² ´ µ ¶ ¸ ¹

Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º

á à ß Þ Ü Û Ú Ù Ø Ö Õ Ô Ó Ò Ñ Ï

0 / . - + *) (' & % $ # " ! ä ã â

C B A @ > = ; : 9 8 7 6 5 4 2 1

T S R Q O N M L K J I H G F E D

. [2] L [Z Y X W U

---

[1]) مفاتيح الغيب حـ ٢٨ ص ١١٥ .
[2]) سورة الحجرات الآيات من ١٠ إلى ١٣ .

فـي هـذه الآيـات الكريمـات يقـرر الحـق سـبحانه وتعـالى الأخـوة بـين المؤمنين فقال سبحانه M ¬ ® ¯ ° ± ² ´ µ ¶ L ثم يبين حقوق هذه الأخوة التي تضمن بقاءها ودوامها ، وترسخها في نفوس المؤمنين وتسد زرائع الخلاف والشقاق ومن ثم العراك والقتال فقال تعالى : M º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È L إلـى آخـر الآيات L ... Ñ Ò Ó Ô Õ Ö .

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله – قوله تعالى M ¬ ® ¯ L هذا عقد عقده الله بين المؤمنين ، أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فإنه أخ للمؤمنين ، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ، ويكرهوا ما يكرهون لأنفسهم ولهذا قال النبي ﷺ { لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه } [1] .

وقال ﷺ المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصحابه [2] .

---

[1]) الحديث أخرجه مسلم كتاب باب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله رقم ٢٥٦٤ .

[2]) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد رقم ٤٨١ . وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم رقم ٢٠٨٥.

ولقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض ، وبما يحصل به التألف والتوادد والتواصل بينهم ، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض .

فمن ذلك إذا وقع الاقتتال بينهم الموجب لتفريق القلوب وتباغضها وتدابرها فليصلح المؤمنون بين إخوانهم ، وليسعوا فيما به يزول شنآنهم { فأصلحوا بين أخويكم } ثم أمر بالتقوى { واتقوا الله } ثم رتب على القيام بالتقوي وبحقوق المؤمنين الرحمة فقال { لعلكم ترحمون } وإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة .

ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة.

ومن حقوق المؤمنين بعضهم على بعض أن { لا يسخر قوم من قوم } بكل كلام وقول وفعل دل على تحقير الأخ المسلم فإن ذلك حرام لا يجوز ، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه وعسى أن يكون المسخور به خير من الساخر، وهو الغالب والواقع . ثم قال تعالى { ولا تلمزوا أنفسكم } أي لا يعيب بعضكم على بعض [ولا تنابذوا بالألقاب] أي لا يعير أحدكم أخاه ويلقبه بلقب يكره أن يقال فيه .

ثم نهى الله عز وجل عن كثير من الظن السيء بالمؤمنين ، حيث قال M ! " # $ % & ' ( ) * + , L وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة ، وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة ، فإن بقاء ظن السوء في القلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك ، بل لا يزال به حتى يقول مالا ينبغي ويفعل مالا ينبغي ، وفي

ذلك أيضاً إساءة الظن بالمسلم وبغضه وعداوته المأمور بخلافها ثم قال { ولا تجسسوا } أي لا تفتشوا على عورات المسلمين ولا تتبعوها ، ودعو المسلم على حاله ، واستعملوا التغافل عن زلاته التي إذا فشت ظهر منها مالا ينبغي ثم قال { ولا يغتب بعضكم بعضا } والغيبة كما قال النبي ﷺ ذكر أخاك بما يكره ولو كان فيه [1] ثم ذكر مثلاً منفرا عن الغيبة فقال تعالى { أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه } [2] شبه أكل لحمه ميتا المكروه للنفوس غاية الكراهية باغتيابه ، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه خصوصا إذا كان ميتا فاقد الروح فكذلك فلتكرهوا غيبته وأكل لحمه حيا . اهـ

ثم اختتمت الآيات بقوله تعالى M E F G H I J K L

. L Z Y X W U T S R Q O N M L

وذلك لتقرير أن الناس جميعاً أصلهم واحد ، من أم واحدة وأب واحد فلامسوغ للمفاضلة بين الناس على L K J I H G F E M

أساس الجنس أو اللون ، ولا مجال للتفاخر والتعالي وازدراء الناس ، فالمفاضلة الحقيقية بالتقوي { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } وليس معنى المفاضلة بالتقوى أن تكون محلا للتفاخر وازدراء الغير ، وانتقاص دينه وتعييره بذنبه ، وإلا كانت هى الأخرى سبباً للشحناء بين المؤمنين ، فحقيقة التقوى عند الله كما قال سبحانه { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } وكما قال من آية أخرى : M هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ

---

[1]) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة رقم ٢٥٨٩ .
[2]) تفسير السعدي حـ٥ ص ٧٦ – ٧٨ بتصريف .

§ © ª » ® ¯ ° ± L [1] فقد تكون أعمال الإنسان التي يتفاخر بها رياء ليس لها رصيد في القلب الذي هو محل نظر الله عز وجل ، كما قال رسول الله ﷺ إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [2] .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله - : وهذا حديث عظيم يترتب عليه ألا يقطع بعيب أحد لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة ، فلعل من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله من قلبه وصفا مذموما لا تصح معه تلك الأعمال ، ولعل من رأينا عليه تفريطاً أو معصية يعلم الله من قلبه وصفا محمودا يغفر له بسببه ، فالأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية ويترتب عليها عدم الغلو في تعظيم من رأينا عليه أفعالاً صالحة ، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة ، بل نحتقر ونذم تلك الحالة السيئة ، لا تلك الذات المسيئة فتدبر هذا فإنه نظر دقيق وبالله التوفيق . اهـ [3]

هذا وفي الآيات إشارات كثيرة تدل على قوة هذه الأخوة وشدة الترابط بين المؤمنين من هذه الإشارات :

أن تقرير الأخوة بين المؤمنين جاء بأسلوب القصر { إنما المؤمنون إخوة } الذي يفيد أنه لا أخوة حقيقية مترابطة أتم الرباط إلا بين المؤمنين لأنهم مرتبطون برباط لا ينفك باختلاف الأغيار ، وهو رباط الإيمان .

ومنها التعبير بلفظ الأخوة الذي يفيد أن رباط الإيمان أقوى من رباط النسب. قال الإمام القرطبي – رحمه الله – أخوة الدين أثبت من أخوة النسب

---

[1]) سورة النجم من الآية ٣٢ .
[2]) الحديث أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله رقم ٢٥٦٤ .
[3]) تفسير القرطبي حـ٩ ص ٦١٤٦ .

، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين ، لا تنقطع بمخالفة النسب أهـ [1] .

ومنها قوله تعالى { فأصلحوا بين أخويكم } يشير إلى أنه يجب المبادرة بالإصلاح بين الأفراد سدا لباب التنازع بين الجماعات ، وكذلك وضع الظاهرة [أخويكم] موضع المضمر للتذكير دائماً بهذه الأخوة .

ومنها قوله تعالى { ولا تلمزوا أنفسكم } يشير إلى أن المؤمنين جميعاً كالنفس الواحدة كما قال سبحانه { فسلموا على أنفسكم } [2] وقال عز وجل { ولا تقتلوا أنفسكم } [3] .

ومنها قوله تعالى { O N M L K J I H G F E } ليوسع دائرة التعارف والترابط بين جميع الناس ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يستقل بنفسه، فمصالح الناس مرتبطة ببعضها ، ومواهبهم مختلفة فيجب أن تسود روح المودة بين جميع الناس ، وأن يتعامل المؤمن بالحسنى مع كل المحيطين به حتى مع المخالفين في الدين .

وفي ختام هذا البحث أستطيع أن أقول : إذا تمسكت الأمة المسلمة بهذه الوصايا الإلهية التي ذكرها الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز والتي تأمر بالوحدة ونبذ الفرقة تتحقق لها بغيتها ، العزة التي ترجوها ، والوحدة التي تهفو إليها ، فإن هذه الوصايا بمثابة الحصن الذي يحميها من مكائد الأعداء ، والدليل الذي يهديها إلى طريق الخير والنماء .

والله اسأل أن يوفق أمتنا إلى ما يحبه ويرضاه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

---

[1]) تفسير القرطبي حـ٩ ٦١٤٢ .
[2]) سورة النور من الآية ٦١ .
[3]) سورة النساء من الآية ٢٩ .

الخاتمـــة

وبعد هذا البحث في بيان القرآن الكريم للشر الناجم عن فرقة المؤمنين ، يمكن بنا أن نخرج بهذه التوصيات .

١- العمل على تزكية روح الأخوة بين المؤمنين وبيان أن العامل المشترك بين جميع أفراد الأمة هو كلمة الإيمان التي تجري بها أحكام الإسلام ولا دعي للجري وراء الأفكار التكفيرية والأراء الشاذة التي تقسم الأمة إلى فرق وجماعات .

٢- العمل على نشر العلم الصحيح بين أفراد الأمة وإعداد أئمة ودعاة متميزين في ذلك حتى لا ينجر الناس وراء أئمة جهلاء ضالين ومضلين يثيرون الفتنة ويزكون الفرقة .

٣- الضرب بيد من حديد على المتسترين بمظاهر الدين واستغلال عواطف المسلمين لتقسيمهم إلى طوائف وفرق لتحقيق سيادة دينية وسلطة زمنية باسم الدين .

٤- يجب على قادة الأمة أن يقيموا شرع الله كاملاً لإقامة العدل وتحقيق العدالة ليطمئن الناس ويقطع عذر المحتجين بتنحية الشريعة ومحاربة الدين .

٥- يجب على قادة الأمة التخلص من الكيان الصهيوني الذي زرع في أمتنا لتأليب الأعداء علينا وتزكية الفتنة بين المسلمين .

٦- على قادة الأمة أن ينتقوا بطانتهم من العلماء الصالحين المتخصصين في كل مجالات الحياة ويجنبوا حاشية السوء والشر التي تضلل الحكام وتثير حفيظة المحكومين .

٧- على وسائل الإعلام المختلفة أن تنضبط في مهنتها وتتحرى الدقة في مادتها فالأنباء الكاذبة والأخبار الفاسدة والإشاعات الباطلة تجر على الأمة الدمار والخراب .

٨- المصالحة بين جميع أفراد الأمة وتغليب المصلحة العامة على المصالح الشخصية والمطالب الفئوية كي تخمد الفتن وتسكن النفوس وتتآلف القلوب وتتحد القوالب وتعود الأمة إلى وحدتها وقوتها لتردع عدوها وتحقق الخير لأبنائها .

وبعد

فهذا جهد المقل واجتهاد قليل في استخراج كنز من كنوز القرآن الكريم فإن أصبت فذلك من فضل الله فله الحمد والشكر وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان وحسبي أنني بشر أصيب وأخطئ والكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه ورسله والله أسأل أن يوفق أمتنا إلى ما يحبه ويرضاه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه
والحمد لله رب العالمين.

دكتـــــور

عبد الوهاب محمد عبد الله سليم

أهـــم المصـــادر

١- القرآن الكريم .
٢- التحرير والتنوير للعلامة محمد بن الطاهر بن عاشور ط / الدار التونسية للنشر .
٣- تفسير الشعراوي للإمام محمد متولي الشعراوي ط / أخبار اليوم .
٤- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابوري ط دار الكتب العلمية .
٥- تفسير القرآن الحكيم [المنار] للشيخ محمد رشيد رضا وأستاذه الشيخ محمد عبده ط / دار المنار بمصر .
٦- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير ط / مكتبة التراث الإسلامي .
٧- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنار للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ط / دار الفكر .
٨- تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي ط / دار الفكر .
٩- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ط الريان للتراث .
١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين السيد محمود الألوسي ط / دار الكتب العلمية بيروت .
١١-الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية [حاشية الجمل] للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ط/ إحياء الكتب العربية .
١٢- في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ط / دار الشروق .
١٣- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت .
١٤- مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي ط / دار الكتب العلمية .
١٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ط / دار الحديث القاهرة .
١٦- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون ط/ دار الدعوة تحقيق مجمع اللغة العربية .
١٧-المعجم الوجيز ط/ مجمع اللغة العربية الخاص بوزارة التربية والتعليم .
١٨- الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسن الطباطبائي ط منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان .